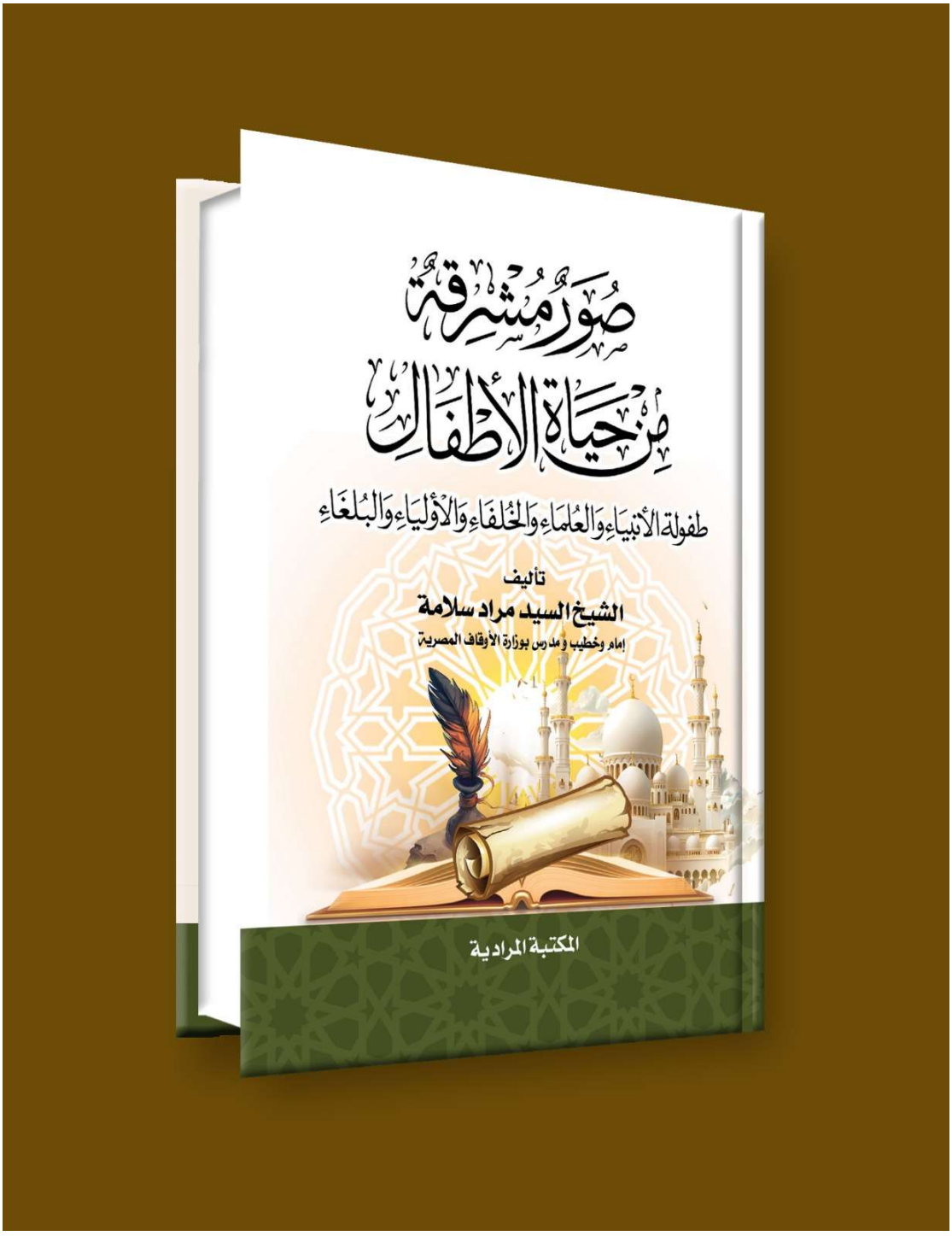
صور مشرقة
من حياة الأطفال
طفولة الأنبياء والعلماء والخلفاء والأولياء والبلغاء
تأليف
الشيخ السيد مراد سلامة
إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية
المكتبة المرادية

صور مشرقة من حياة الأطفال

طفولة الأنبياء والعلماء والخلفاء والأولياء والبلغاء

تأليف
الشيخ السيد مراد سلامة
إمام وخطيب و مدرس بوزارة الأوقاف المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده وستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) [آل عمران/١٠٢] ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) [النساء/١] ﴾

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

اعلم - علمني الله وإياك- : أن الأطفال هم كنز كل أمة ومستقبل كل حضارة، فنحن الماضي والحاضر وهم المستقبل المنشود والرصيد المدخر، لذا اعتنت كل أمة بالأطفال وسلطت عليهم الأنظار وأنفقت عليهم الأموال، وأمة تهدر ثروة الأبناء أمة لا مكان لها إلا تحت الغبراء

يقول الشيخ محمد بن إسماعيل – حفظه الله- إن الأطفال هم المستقبل، فإن هذا الشعار حقيقة لا مجاز، وواقع لا خيال، ومن ثمَّ ينبغي أن يصرف الهم الأكبر إلى تهيئتهم ؛ ليكونوا مؤتمنين على مستقبل أمة الإسلام، ولن يحصل هذا إلا إذا تخلينا عن نظرتنا إلى هؤلاء البراعم على أنهم لعبة ملهية نتسلى بها، وبالتالي ننسى ونغفل عن أن الاهتمام بالأطفال وتربيتهم يبدأ مبكراً جداً أكثر مما نتصور. ([1])

ويقول عبد القادر عبار- حفظه الله - الأطفال هم جيل الغد ورجاله ..... وهم في غد الأمة قادتها في السلم والحرب ومؤدبو نشئها ومفكروها وواضعو برامجها ومنفذو اطروحاتها واختياراتها... بجدهم ووعيهم وإيمانهم وصدقهم يرقى المجتمع ويزهر. وبفتورهم وتقصيرهم

[1] – علو الهمة ص ٣٦٤

وتميعهم ينهار المجتمع وتدك أركانه ويأخذ مكانه وفق السنن المتداولة في سقوط الأمم في ذيل القافلة الحضارية إن لم يكن بالرضا وبالاختيار فبالقوة والجبر.. كما يعبر العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى...

ولأجل ما للطفولة والشباب من تأثير في مستقبل الأمم والحضارات بادرت جل الحركات الهدامة في العالم على اختلافها إلى السيطرة على الأطفال والشباب متأولة في ذلك أنها بسيطرتها تلك على هذه الكتلة الطرية من المجتمع تكون قد أمسكت من مكان حساس وقيادي لتلك الأمة ولتلك الشعوب... إذ الانطباعات الأولى لا تنسى وهي المؤثرة والموجهة لمختلف مراحل حياة الناشئة ولهذا السبب أو ذاك نجحت تلك الحركات رغم خبث اطروحاتها في إخضاع الأمم لأفكارها وأهوائها وسوقها إلى المصير النكد الذي خططته لها من قبل وهذا واقع ملموس يحسه كل دارس حصيف لواقع المجتمعات الحاضرة.. فمثلا الواقع المزري الذي تتخبط فيه المجتمعات العربية والإسلامية .. كيف تم الإعداد له ؟

عندما خطط الغرب الماكر لإسقاط الأمة العربية والإسلامية عمد إلى الاستحواذ على شبابها فغرس فيهم أفكاره الهدامة.. ميعهم ونفرهم من دينهم وحجب عن أعينهم رؤية السماء ودربهم على شتى أنواع الاستبداد والبغي والظلم... حتى إذا صاروا قادة أممهم ورواد قومهم من ساسة ومفكرين وأدباء وفنانين افرغوا ما في أمعائهم .. وساقوهم إلى ما نرى اليوم من انحلال منيت العلاقات الأسرية به وعصيان وتمرد على القيم ومروق عن الدين([٢])..

من أجل هذ كله وضعت هذا الكتاب و ذكرت فيه صورا مشرقة من تاريخ الطفولة المسلمة قصص تذكر الأمة بالأعلام و تذكر الأمة بأن هؤلاء الأصفياء و العلماء و القادة و البلغاء و الخلفاء كانوا أطفالا حملوا هم دينهم و تربوا على طاعة ربهم ، و سميت ذلك الكتاب { صُوَرٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ حَيَاةِ الأَطْفَالِ ، طفولة الأنبياء و العلماء و الأولياء و البلغاء} و ذلك من باب قول ربنا سبحانه و تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١] أي: يعتبرون بها، أهل الخير

[٢] –في همنا المعاصر أفكار وخواطر (ص: ٤٠–٤١)

وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، ويعتبرون بها أيضا، ما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له.

وجاءت الدراسة في ثمانية أبواب:

الباب الأول: عناية الإسلام بالأطفال:

لقد اهتم الإسلام بالطفولة و جعلها أمانة في عنق الأمة جمعاء سواء الآباء أو الأمهات أو الحكام و الولاة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...) (٦) (التحريم)

عن علي –رضي الله عنه- أنه قال في الآية: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم، والمراد بالأهل على ما قيل: ما يشمل الزوجة والولد والعبد والأمة.

وسيرى القارئ الكريم مدى عناية الإسلام بالطفولة في شتى مناحي الحياة

الباب الثاني: من طفولة الأنبياء: وفي هذا الباب ذكرتُ للقارئ الكريم صورا من طفولة الأنبياء وكيف كانت عناية الله تعالى بهم ومن هؤلاء إسماعيل ويوسف وعيسى وموسى وخاتمهم محمد - صلى الله عليهم أجمعين- وذكرت الدروس والعبر من خلال تلك المواقف.

الباب الثالث: الأطفال الذين تكلموا في المهد: أخي المسلم في هذا الباب وضعت بين يدي القارئ صورا من حياة الأطفال الذين أنطقهم الكبير المتعال وهم في المهد وكان على رأس هؤلاء عيسى عليه السلام – بينتُ أن الله تعالى قادر على كل شيء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء – سبحانه {قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} [فصلت: ٢١]

والذي يتأمل أحوال هؤلاء الأطفال الذين تكلموا في المهد يجدهم كانوا تأييدا للحق ونصرة للمظلوم ودحضا للباطل.

الباب الرابع: صور مشرقة عبادة الأطفال: العبادة هي الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الخلق و أنزل الكتب و أرسل الرسل و خلق الجنة و النار يقول سبحانه و تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]

و في هذا الباب نقف مع أُولي الألباب من هؤلاء الأطفال لنرى كيف كان حالهم مع الله - تعالى - و هم لم تجر عليهم الأقلام و لكنهم أطفال أعدهم الله تعالى ليكونوا رجالا يحملون هَمَّ الدعوة و يرفعوا رآية الدين، سنرى صوراً مشرقة من قيام لليل، و توكل على الله، و مراقبة له - جل في علاه - ، ليكون حالنا بعد قراءة تلك الصفحات:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

الباب الخامس: صور مشرقة في الجهاد وطلب الشهادة:

و ننتقل في هذا الباب إلى ميدان الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، عن معاذ، أن النبي ﷺ قال: ((ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله عز وجل)) (٣)

وها هم الأطفال ينضمون إلى صفوف الأبطال ليجاهدوا في سبيل الله ولينال بعضهم الشهادة في سبيل الله، سترى أيها القارئ حقيقة لا خيال ورجالا لا أطفال يخوضون في معمعة القتال لا يرجون إلا الكبير المتعال ونصرة سيد الأنام – ﷺ-

الباب السادس من تكلم عند الخلفاء وهو صغير فارتفع بذلك شأنه

إن من البيان لسحر كما أخبرنا رسولنا – ﷺ- فعن عبد الله بن عمر أنه قال: قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا عند النبي ﷺ فعجب الناس من بيانهما فقال رسول الله عليه السلام : إن من البيان لسحراً أو إن بعض البيان لسحر(٤)

وفي هذا الباب نرى أرباب الفصاحة البيان من هؤلاء الصبيان عندما يقفون بين يدي الخلفاء والأمراء ليأخذوا بالألباب ويسحروا العقول بالقول الصواب، فترتفع منزلتهم ويعلوا شأنهم،

---

٣ – أخرجه أحمد ٥/٢٣٥(٢٢٤٠١) والطبراني (٨/٢٢٣، رقم ٧٨٨٥) وقال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٤٢٩ / ١ في صحيح الجامع

٤ – أخرجه مالك "الموطأ" رواية أبي مصعب (٢٠٧٤. وأحمد ٢/١٦(٤٦٥١) و"البخاري" ٧/٢٥(٥١٤٦)

سنرى ذلك في هذا الباب ليعلم الجميع أن المرء ليس بكبر سنه وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل

فإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

الباب السابع في نوادر الصِّبيان: أخي المسلم في هذا الباب نقف مع بعض نوادر الأطفال من الردود المسكتة ومن المواقف المضحكة وذلك من باب الإثراء العلمي في ذلك الكتاب.

الباب الثامن: في الأطفال الشعراء: وأخيرا نقف مع الأطفال الشعراء ممن وهب رب الأرض والسماء الملكة الشعرية فنبغوا وهم أطفال وأصبح تضرب بهم الأمثال ومن تلك النوابغ طرفة بن العبد وغيره من الشعراء.

وأسأل الله تعالى أن ينفع به شباب الأمة الإسلامية، وأن يكون لهم بمثانة السراج الذي يضيء لهم في وسط تلك الحوالك، أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلوات الله وسلامة على إمام السلف المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين ...

أبو همـــام / السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

abo_hamam٢٠١٢@yahoo.com

م/٠١٠٦٩٨٣٥٢٦٨

❖❖❖❖

الباب الأول

عناية الإسلام بالأطفال

اعلم علمني الله تعالى وإياك: أن الإسلام لقد اعتنى بالطفولة وأولاها اهتماما كبير وركز على تنشئة الأبناء تنشئة سليمة بعيدة كل العبد عن الأخطار والأضرار.

و أنت أيها الوالد مطالب أن تقي نفسك و زوجتك و أبنائك نار حرها شديد و قعرها بعيد و مقامعها من حديد يقول الله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ (٦) (التحريم)

عن علي —رضي الله عنه- أنه قال في الآية: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم، والمراد بالأهل على ما قيل: ما يشمل الزوجة والولد والعبد والأمة.

واستدل بها على أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب من الفرائض وتعليمه لهؤلاء، وأدخل بعضهم الأولاد في الأنفس لأن الولد بعض من أبيه، وفي الحديث رحم الله رجلاً قال: يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معه في الجنة.

وقيل: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من جهل أهله. (٥)

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله: { قوا أنفسكم وأهليكم ناراً } قال: اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله: { قوا أنفسكم وأهليكم ناراً } قال: أوصوا أهليكم بتقوى الله .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة في قوله: { قوا أنفسكم وأهليكم ناراً } قال: مروهم بطاعة الله ، وانهوهم عن معصية الله . (٦)

قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله، من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه.

---

٥ - تفسير الألوسي - (ج ٢١ / ص ١٠١)

٦ - الدر المنثور - (ج ١٠ / ص ٥٨)

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد الملك بن الربيع بن سَبْرَة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها ([٧])

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم؛ ليكون ذلك تمرينًا له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر، والله الموفق.)([٨])

مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها.

يقول ابن عثيمين — رحمه الله - وهذا من حقوق الأولاد على آبائهم أن يأمروهم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنوات وأن يضربوهم عليها أي على التفريط فيها وإضاعتها إذا بلغوا عشر سنين ولكن بشرط أن يكونوا ذوي عقل فإن بلغوا سبع سنين أو عشر سنين وهم لا يعقلون يعني فيهم جنون فإنهم لا يؤمرون بشيء ولا يضربون على شيء لكن يمنعون من الإفساد سواء في البيت أو خارج البيت وقوله اضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين المراد بالضرب الذي يحصل به التأديب بلا ضرر فلا يجوز للأب أن يضرب أولاده ضربا مبرحا ولا يجوز أن يضربهم ضربا مكررا لا حاجة إليه بل إذا احتاج إليه مثل ألا يقوم الولد للصلاة إلا بالضرب فإنه يضربه ضربا غير مبرح بل ضربا معتادا لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- إنما أمر بضربهم لا لإيلامهم ولكن لتأديبهم وتقويمهم وفي هذا الحديث إشارة إلى أن ما ذهب إليه بعض المتأخرين ممن يدعون أنهم أصحاب تربية من أن الصغار لا يضربون في المدارس إذا أهملوا ففي هذا الحديث الرد عليهم وهو دليل على بطلان فكرتهم وأنها غير صحيحة لأن بعض الصغار لا ينفعهم الكلام في الغالب ولكن الضرب ينفعهم أكثر فلو أنهم تركوا بدون ضرب لضيعوا الواجب عليه وفرطوا في الدروس وأهملوا فلابد من ضربهم ليعتادوا النظام ويقوموا بما ينبغي أن يقوموا به و إلا لصارت المسألة فوضى إلا أنه كما قلنا لابد أن يكون الضرب للتأديب لا للإيلام و الإيجاع فيضرب ضربا يليق بحاله ضربا غير مبرح لا يفعل كما يفعل بعض المعلمين في الزمن السابق يضرب الضرب العظيم الموجع ولا يهمل كما يدعي هؤلاء المربون الذين هم من أبعد الناس عن التربية لا يقال لهم شيء لأن الصبي لا يمتثل ولا يعرف لكن الضرب يؤدبه([٩])

---

[٧] – رواه ابن أبي شيبة (١ / ١٣٧ / ١) وأبو داود (٤٩٤) والترمذي (٢ / ٢٥٩) والدارمي (١ / ٣٣٣) والطحاوي في " مشكل الاثار " (٣ / ٢٣١) وابن الجارود (ص ٧٧) والدارقطني (٨٥) والحاكم (١ / ٢٠١) والبيهقي (٢ / ١٤، ٣ / ٨٣ – ٨٤) وأحمد (٣ / ٢٠١) من طرق عنه . وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح "، وقال الحاكم: " صحيح على شرط مسلم " . ووافقه الذهبي.

[٨] –تفسير ابن كثير –(ج ٨ / ص ١٦٧).

[٩] – شرح رياض الصالحين – (ج ١ / ص ٣٥٧)

وليعلم الآباء والأمهات أنه لن تزول أقدامهم من أمام الله تعالى يوم القيامة حتى يسألهم الله تعالى عن أبنائهم وعن تربيتهم.

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله – ﷺ – : «كلكم راع، ومسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته » ، وأحسب النبي – ﷺ – قال: « والرجل في مال أبيه راع ومسئول عن رعيته »([10]) .

و بين رسولنا الكريم – ﷺ – : « إنه ما من مولود يولد إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو يمجسانه »([11])، (هذه الفطرة لو ترك الطفل من غير تأثير لما كان إلا مسلماً ، ولكن الحجب قد تحول دونها بالتوجيه للاعتقادات الباطلة))([12]) .

يقول ابن القيم– رحمه الله– : (وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على

العقوق فقال: يا أبتِ إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً ، وأضعتنى وليداً فأضعتك شيخاً) [[13]] .

لذا فواجب الأبوين المسلمين : رعاية الفطرة والاجتهاد في تحسين تربية أبنائهما ، ولا يكفل لهما النجاة يوم الحساب إلا أن يبذلا ما في وسعهما لصلاح رعيتهما ، وصيانة الفطرة من الانحراف ، « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته».

وفي ظل المجتمع المسلم ، يعرف كل فرد دوره ورسالته ، ويتحمل مسؤوليته متطلعاً إلى ما هو خير وأبقى من الدنيا الفانية ، وبالإسلام تعرف المرأة أنها ذات رسالة تؤجر عليها إن أدتها كما يريد الله سبحانه وتعالى . وهي رسالة تتناسب مع تكوينها الفطري. إ

نها المحضن الدافئ العطوف للأطفال .. فهي أقدر من الرجل على إرواء حاجات الطفل من المحبة والحنان وبقية حاجاته الأساسية، التي لو حرم منها الطفل لعانى الكثير من المصاعب في مستقبل حياته.

---

[10] – أخرجه أحمد (٢/٥) (٤٤٩٥) و «عبد بن حميد» (٧٤٥ و «البخاري» (١٩٦/٣) و «مسلم» (٧/٦) و «الترمذي» (١٧٠٥)

[11] –متفق عليه.

[12] –الفتاوى لابن تيمية٢٤٧/٤.

[13] –تحفة المودود لابن القيم / ١٣٩.

(والطفل في سنواته الأولى على الأقل يحتاج إلى أم متخصصة لا يشغلها شيء عن رعاية الطفولة وتنشئة الأجيال، وأن كل أمر تقوم به خلافاً لتدبير أمور البيت، ورعاية الأطفال، إنما يتم على حساب هؤلاء الأطفال، وعلى حساب الجيل القادم من البشرية))([١٤]) .

ففي الناحية العقدية: أمرنا أن نرسخ عقيد الإيمان بالله تعالى وبرسله واليوم الآخر فينشأ الطفل وقد تربى روحينا على محبة الله تعالى وعلى الرغبة فيما عنده من أجر وثواب.

ولعلنا نذكر بعض الأمور التي تبين لنا أهمية التربية الإيمانية وضرورة الاعتناء بها من خلال النقاط التالية:

١- إرشاد الولد إلى الإيمان بالله، وقدرته المعجزة، وإبداعه الرائع عن طريق التأمل والتفكر في خلق السماوات والأرض، وذلك في سن الإدراك والتمييز.

٢- غرس روح الخشوع، والتقوى، والعبودية لله تعالى في نفس الولد، بتفتيح بصيرته على قدرة الله تعالى المعجزة في كل شيء{ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: ١٨٥ - ١٨٧]

٣- ترويض الولد على مراقبة الله تعالى وتعليمه ما يقربه من خالقه يقول الله تعالى {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [يونس: ٦١].

٤- ترويض الولد على تحقيق العبودية لله، فيقصد وجه الله في أقواله، وأفعاله، ليتعلم الإخلاص لرب العالم {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

[١٤] – منهج التربية الإسلامية، الأستاذ محمد قطب ٢/١٠٨.

٥- : الإيمان هو الزاد للمرء في مواجهة الشهوات {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} [الأنعام: ١٥، ١٦]

٦- : قوة الإيمان هو العلاج الأنجح لكثير من المشكلات: فمثلا (قسوة القلب – الفتور – ضعف العناية بالعبادات...) وغيرها من المشكلات لا يعالجها إلا قوة الإيمان وعندما يعنى بالإيمان يكون خيرا لنا من الكثير من الأمراض والمشكلات.

{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٢، ٣] { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا } [الطلاق: ٤] {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا } [الطلاق: ٥]

٧- قوة الإيمان هي أهم ما يعين المرء على الثبات على دين الله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم: ٢٧، ٢٨]

خاصة ونحن اليوم نعاني من كثير من حالات التقهقر والتراجع.

لذا فحين سأل هرقل أبا سفيان – رضي الله عنه – عن أصحاب النبي ﷺ قال : " وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ،

وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب " .)([١٥])

ثانيا: الاهتمام بالناحية الأخلاقية: فحثنا على تعليمهم الصدق والأمانة والعفة ومحبة الأخلاق الحميدة.

ولقد صدق الشاعر لما قدر بقاء الأمم ببقاء الأخلاق فقال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

[١٥] – خرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، الباب السادس، وفي الجهاد، باب قوله تعالى: قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بنا ... بلفظ مقارب للفظ الأول وأطرافه في مواضع أخرى من صحيحه. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب كتاب النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى هرقل بلفظ مقارب لهذا اللفظ، وأحمد في المسند (١/ ٢٦٢) بنحوه.

من تأمل كتاب الله عز وجل حق التأمل يري الآيات التي تتحدث في الأخلاقيات التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم مما يجعله يَقِفُ وقفة دهشة وإعجاب. قال تعالي: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤] ويقول تعالي: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩])ويقول جل وعلا: {فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة: ١٩٧] ويقول تعالي أيضا: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣]

فهذه الآيات غيض من فيض. واللبيب تكفيه الإشارة، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وأحاديثه المباركة في الأخلاق يري عجب العجاب، وكيف لا والله جل وعلا مدح نبيه صلي الله عليه وسلم في آية عظيمة وذلك في قوله تعالي: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]

ولما سئلت عائشة ـ رضي الله تعالي عنها ـ عن خلق النبي ﷺكان جوابها: [كان خلقه القرآن] (١٦)

لا غرو فلقد جاءت أحاديثه ﷺ تؤكد وتعظم هذا الجانب في حياة الناس أعني جانب التخلق بالفضائل والمكارم والتخلي عن الرذائل والمنكرات، فعن النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: [البر حسن الخلق والإثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس] (١٧)

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: [ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذي] (١٨)

ثالثا: عناية الإسلام بالناحية الجسمية: فحث على تعليم الأبناء الرماية وركوب الخيل والسباحة وأخبرنا النبي –ﷺ– بأن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير

---

١٦ – أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٣٠٨) و"النسائي" في "الكبرى" تحفة الأشراف(١٧٦٨٨).

١٧ – أخرجه أحمد (١٨٢/٤، رقم ١٧٦٦٨)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٠/١، رقم ٢٩٥)، ومسلم (١٩٨٠/٤، رقم ٢٥٥٣).

١٨ – أخرجه أحمد ٤٤٢/٦(٢٨٠٤٤) وعبد بن حميد (و"البخاري"، في "الأدب المفرد" ٢٧٠ و"أبو داود"٤٧٩٩ و"الترمذي"٢٠٠٣ و الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٧٢١ في صحيح الجامع.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ- المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) ([١٩])

عن بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصاري، عن النبي - ﷺ- : أنه قال: (علموا أبناءكم السباحة والرماية، ونعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل، وإذا دعاك أبواك فأجب أمك(([٢٠]).

عن أبي أمامة بن سهل، قال: كتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح: أن علموا غلمانكم العوم، ومقاتلتكم الرمي، فكانوا يختلفون إلى الأغراض، فجاء سهم غرب إلى غلام فقتله، فلم يوجد له أصل، وكان في حجر خال له، فكتب فيه أبو عبيدة إلى عمر إلى من أدفع عقله؟

فكتب إليه عمر إن رسول الله - ﷺ- كان يقول: الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له ([٢١]) .

من ذلك تشجيعه - ﷺ- للأطفال على الرمي، قال على ما جمع رسول الله - ﷺ - أباه وأمه لأحد إلا لسعد بن أبى وقاص قال له يوم أحد « ارم فداك أبى وأمي ». وقال له «ارم أيها الغلام الحزور » ([٢٢]) .

عن ابن عباس: أن النبي - ﷺ - ، مر بنفر يرمون، فقال: ارميا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ([٢٣]) ،

وعن أبي العالية، أن رسول الله - ﷺ - مر بفتية يرمون، فقال رسول الله - ﷺ - : "ارموا يا بني إسماعيل ؛ فإن أباكم كان راميا " ([٢٤]) .

---

١٩ – أخرجه مسلم (ج٤ص٢٠٥٢) وأحمد (ج٢ص٣٦٦).

[٢٠] – الخبر ضعفه السيوطي في جامعيه وأورده ابن حجر في الإصابة وعلق عليه بقوله: إسماعيل يعني ابن عياش يضعف في روايته عن غير أهل بلده، وهذا منه، وشيخه غير معروف، ولم يذكر بكر أنه سمعه. فأخشى أن يكون مرسلا. جمع الجوامع ٣١٣٤/٢.

[٢١] –مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ١٧٤) (٣٢٣) حسن

[٢٢] –سنن الترمذي–المكنز –(٣٠٦٣) صحيح –الحزور: الغلام إذا اشتد وقوى

[٢٣] –المعجم الكبير للطبراني – (١٠ / ٣٠١)(١٢٥٧٨) صحيح

[٢٤] –سنن سعيد بن منصور – (٢٢٨١) صحيح مرسل

فعن عبد الله بن الحارث، قال: كان رسول الله - ﷺ - يصف عبد الله، وعبيد الله، وكثيرا بني العباس، ثم يقول: من سبق إلي فله كذا وكذا قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم ([٢٥]).

رابعا: عناية الإسلام بالأبناء تربيتهم تربية اجتماعية وتشمل:

١- تربية الولد على قواعد التربية الفاضلة، ليعامل الناس بأدب، واتزان، وعقل ناضج وتصرف حكيم.

٢- غرس التقوى في نفس الولد، بحيث لا يراه الله حيث نهاه، وأن لا يفقده حيث أمره.

٣- تربية الولد على الشعور برابطة الأخوة الإيمانية بينه وبين سائر المؤمنين، وتعميق روح المحبة، والاحترام، والتعاون والإيثار في نفسه.

٤- تربية الولد على الابتعاد عن كل ما يضر بالناس: في أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم والمساس بكرامتهم.

٥- تربية الأولاد على الرأفة بالآخرين، والتألم لهم، والعطف عليهم، وكفكفة دموع أحزانهم وآلامهم، ومواساتهم.

٦- تربية الولد على مراعاة حقوق الآخرين: الأب، والأم، وأولي الأرحام، والجار، والمعلم، والرفيق والكبير.

٧- تربية الولد على اتباع آداب الإسلام: في المأكل، والمشرب، والجلوس، والسلام، والاستئذان، وحضور المجالس، والحديث وعيادة المريض.

٨- تربية الولد منذ نعومة أظفاره على رقابة المجتمع، والنقد الاجتماعي البناء لكل من يعايشهم، وينتمي إليهم، ويلتقي معهم، والنصح لكل إنسان يرى منه شذوذا أو انحرافا بعبارة أخرى: تعويد الولد منذ نشأته على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لذا واجب علينا في هذه الفترة الحرجة أن نوجه الأنظار إلى الأطفال فهم العدة و هم الأمل بعد الله - تعالى -

[٢٥] -مسند أحمد (عالم الكتب) -(١ / ٥٦٩) (١٨٣٦) حسن

يقول عبد القادر عبار- حفظه الله - الأطفال هم جيل الغد ورجاله .....وهم في غد الأمة قادتها في السلم والحرب ومؤدبو نشئها ومفكروها وواضعو برامجها ومنفذو اطروحاتها واختياراتها... بجدهم ووعيهم وإيمانهم وصدقهم يرقى المجتمع ويزهر.

وبفتورهم وتقصيرهم وتميعهم ينهار المجتمع وتدك أركانه ويأخذ مكانه وفق السنن المتداولة في سقوط الأمم في ذيل القافلة الحضارية إن لم يكن بالرضا وبالاختيار فبالقوة والجبر.. كما يعبر العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى...

ولأجل ما للطفولة والشباب من تأثير في مستقبل الأمم والحضارات بادرت جل الحركات الهدامة في العالم على اختلافها إلى السيطرة على الأطفال والشباب متأولة في ذلك أنها بسيطرتها تلك على هذه الكتلة الطرية من المجتمع تكون قد أمسكت من مكان حساس وقيادي لتلك الأمة ولتلك الشعوب... إذ الانطباعات الأولى لا تنسى وهي المؤثرة والموجهة لمختلف مراحل حياة الناشئة ولهذا السبب أو ذاك نجحت تلك الحركات رغم خبث اطروحاتها في إخضاع الأمم لأفكارها وأهوائها وسوقها إلى المصير النكد الذي خططته لها من قبل وهذا واقع ملموس يحسه كل دارس حصيف لواقع المجتمعات الحاضرة.. فمثلا الواقع المزري الذي تتخبط فيه المجتمعات العربية والإسلامية .. كيف تم الإعداد له؟.

عندما خطط الغرب الماكر لإسقاط الأمة العربية والإسلامية عمد إلى الاستحواذ على شبابها فغرس فيهم أفكاره الهدامة.... ميعهم ونفرهم من دينهم وحجب عن أعينهم رؤية السماء ودربهم على شتى أنواع الاستبداد والبغي والظلم... حتى إذا صاروا قادة أممهم ورواد قومهم من ساسة ومفكرين وأدباء وفنانين أفرغوا ما في أمعائهم .... وساقوهم إلى ما نرى اليوم من انحلال منيت العلاقات الأسرية به وعصيان وتمرد على القيم ومروق عن الدين ([٢٦]).

ومستقبل أي مجتمع يتوقف إلى حد كبير على مدى اهتمامه بالأطفال ورعايتهم وتهيئة الإمكانات التي تتيح لهم حياة سعيدة ونموا سليما يصل بهم إلى مرحلة النضج السوي

[٢٦] -في همنا المعاصر أفكار وخواطر (ص: ٤٠-٤١)

و هذا ما كان يقوم به النبي – ﷺ - حيث اهتم بتلك المرحلة اهتماما بالغا و منح أمته الإرشادات التي عليها يسيرون و من خلالها يتفوقون ...

❖❖❖❖❖❖❖❖

الباب الثاني

صور من طفولة الأنبياء

إسماعيل - عليه السلام-

أخي المسلم: نسلط الأضواء على جانب من جوانب طفولة نبي الله تعالى – إسماعيل عليه السلام – لنرى قمة الإيمان والاستسلام لأوامر الملك العلام، ولنرى بر الولد بأبيه وسمعه لأمره وعدم مناقشته فيه.

❖ إبراهيم – عليه الصلاة و السلام – بلغ من الكبر عتيا و كانت زوجه سارة - عليها السلام – عقيم لا تلد و رزقه الله تعالى بهاجر - عليها السلام - فتزوجها و حملت بإسماعيل عليه السلام – و أمره الله –تعالى- أن يأخذ هاجر وولدها إسماعيل ليضعهم في وسط تلك الصحراء الجراد التي لا زرع فيها ولا ماء، تلك الصحراء التي يبيد فيها البيد و يهلك فيها الذكي و البليد

و يستسلم ابراهيم – عليه الصلاة و السلام – و تستسلم هاجر لقضاء الله و هي واثقة بأن الله – تعالى- لن يضيعهم، و تمر الليالي و الأيام و يكبر إسماعيل – عليه السلام – و هنا يرى خليل الرحمن تلك الرؤية ،أنه يذبح ولده إسماعيل فماذا جرى و وما هو الحوار الذي دار بين الابن و أبيه هذا ما يخبرنا به العليم الخبير - جل في علاه - بقوله

{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)

رأى خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام – في المنام انه يذبح ولده البكر و هو إسماعيل- عليه السلام – ورؤيا الأنبياء وحي يا لها من رؤية لقد رزق الله تعالى ابراهيم ولده اسمعيل بعد أن جاوز الثمانين من العمر وملاء عليه حياته و لكنها حكمة الله –تعالى- و هذا هو البلاء المبين الذي أخبر به رب العالمين

ففي ابتلاء الخليل إبراهيم عليه السلام بأمر بذبح ولده اسماعيل تنفيذا لأمر الله أسباب متفردة تجعله من أعظم الابتلاءات في تاريخ البشرية ،

فقد اجتمع فيه عدة ابتلاءات يستحيل على المرء تحملها مالم يكن ذا قوة إيمانية عالية ويقين بالله لا يتزعزع.

ومن هذه الأسباب :

١- فقد الولد ، فالابن أقرب للإنسان من نفسه وأحب إليه منها بل قد يتحمل الإنسان على نفسه كل ألم مهما عظم ولكنه لا يتحمل أن يصاب ولده بأي إيذاء إذ يتألم ألما أشد لا يقوى عليه فكيف بالأب أن يرى ولده جسدا بلا روح بعدما كان يملأ الأرض لهوا ولعبا ومرحا وسعادة

٢- كون إسماعيل ابنه الوحيد آنذاك : فربما تهون المصيبة إذا كان للإنسان سلوى عند وجود أبناء غيره ولكنه تعظم عليه المصيبة جدا إذا كان هذا الولد وحيدا فيشعر الأب عند موت ولده الوحيد بانقطاع أثره مما يضاعف ألم المصيبة ، ومن المعلوم أن البشارة بإسحق جاءت بعد الابتلاء بذبح إسماعيل (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ ❖ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ❖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ❖ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ❖ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ❖ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ)

٣- كون إبراهيم شيخا كبيرا طاعنا في السن مع وجود زوجة عاقر عجوز لا يُرجى منها الولد ظل معها عمره كله دون إنجاب ، فيذكر كتاب السير أن إبراهيم- عليه السلام- قد ناهز الثمانين عند ولادة اسماعيل فكيف بسنه عند ذبحه إذ يقولون أنه قد اقترب من المائة عام أو جاوزها

٤- كون الأمر بذبح إسماعيل عندما بلغ معه السعي والولد في هذه السن يُرتجى منه الخير والنفع لوالده ويتعلق به قلب الأب كما يتعلق الولد فيه بأبيه ،

فقد يحزن الإنسان على موت ابنه وهو طفل صغير ولكن حزنه الأشد أن يفقده عندما يبلغ السعي على مشارف الرجولة والأب في مرحلة الشيخوخة وعندها تكون حاجة الأب لابنه أكثر من حاجة الابن لأبيه

٥- كون الفقد لولده قتلا لا موتا فقتل الابن يورث حزنا مضاعفا على أن يلقى حتفه بمرض أو بغيره إذ يكون في المرض معاناة للابن قد تدفع الأب للدعاء لموت الابن كي يستريح من تلك الآلام فيخف الألم على الأب عند وقوع الموت، ولكن القتل يأتي فجائيا والابن في كامل عنفوانه فيكون وقع الألم أشد ، وبالقطع يكون القتل ذبحا بإراقة الدم من أشد وأكثر ألوان القتل معاناة وألما على نفس الأبوين

٦- كون فقده لإسماعيل بالذبح المتعمد لا بالقتل الخطأ فمن المعلوم أن القتل المتعمد ينبت حزنا شديدا والما عظيما عند الوالدين لا يتخلصان منه طيلة حياتهما ، ولكن القتل الخطأ أهون عليهما من ذلك

٧- كون اسماعيل عليه السلام شابا طائعا لله بارا بأبويه فلم يكن كافرا مستحقا للقتل إذ يستريح الإنسان لذلك ويجده مرضيا لنفسه مريحا لها إذ أنه ينسجم مع أصول عقيدته ، فقد قتل أبو عبيدة أباه في غزوة بدر وقال الصديق لولده بعدما أسلم لو لقيتك في بدر لقتلتك ، ولم يكن إسماعيل أيضا مرتكبا لحد من الحدود المستوجة شرعا للقتل فقد ضرب عمر ولده في حد حتى مات ولهذا كان الألم شديدا على ابراهيم عليه السلام

٨- كون المأمور بالذبح هو إبراهيم نفسه وهو الأب الحاني والزوج الأمين والنبي الكريم الذي كان يُكرم الضيف ويحب أن يُدخل البشر والسعادة على من حوله الداعية الرفيق الذي يتودد للناس ويعلمهم برفق أمور دينهم بحلم يصفه ربه به في غير موضع في كتابه (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) وهو الذي كان يدعو الله ويستغفره لأبيه الذي مات كافرا وهو الذي جادل الملائكة لقوم لوط العصاة كي لا يحل العذاب بهم ويطلب إمهالهم (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) حتى جاءه الأمر الإلهي فامتثل (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) فكيف به بمقومات شخصيته تلك أن يقوم بنفسه بذبح فلذة كبده !!!

٩- كون الأمر بذبح إسماعيل قد جاء في رؤيا منامية وليس بوحي صريح عن طريق الملك فربما يجد في نفسه عذرا أو مبررا للتسويف انتظارا لأمر الله الصريح ولكنه يعلم ويوقن أن رؤيا الأنبياء

حق فاشتد الأمر عليه ولو كان أمرا صريحا مباشرا عن طريق أمين الوحي لكان الامتثال أيسر وأخف وطأة على نفسه

١٠- كون اسماعيل ممتثلا لأمر الله غير معترض وكون الأم المباركة أيضا ممتثلة للأمر غير معترضة مما يلقي على الخليل عبئا إضافيا لا يتحمله بشر إذ الجميع الآن ينتظر قيام إبراهيم بتنفيذ الأمر

ومن حكمة الله العظيمة في الأمر بذبح إسماعيل أن قلب إبراهيم ظل متعلقا بالله متوكلا عليه ليس فيه أحد غيره حتى عندما ألقى في النار لم يطلب ولم يستعن إلا بمولاه ولكن جاءه الولد الذي حُرم منه طول حياته وبلغ السعي وأصبح يرتجي منه كل معروف فأراد الله – وهو العليم سبحانه - أن يختبر قلب عبده إبراهيم ويختبر تمكن حب الولد من قلب النبي الذي اتخذه الله خليلا (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)

فإذا بالخليل يعلنها لربه أن قلبه خالصا لله وحده ليس فيه أحد سواه ولم ينل منه أي حب سوى حب خالقه ومولاه فحينها تعطل السكين ولم يذبح ونزل الأمين بالفداء بالذبح العظيم والبشارة بولد آخر لإبراهيم من زوجته العاقر العجوز ليعلموا جميعا أن الله على كل شيء قدير وأنه إذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون

صور من طفولة يوسف عليه السلام

و نطوي الزمان و المكان لنعيش مع صفحة صدق من طفولة نبي الله يوسف عليه السلام – إنه الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم – عليهم الصلاة و أزكى السلام - هيا لنرى محن و آلام تلم بذلك الغلام ، محن بينه و بين إخوته و بينه و بين من يأخذوهم ليبيعوه بيع الرقيق ..

من الرؤية الى المؤامرة :

{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)}

قول الرازي - رحمه الله - واعلم أنه لما قوي الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه: وذلك لا يحصل إلا بأحد طريقين: القتل أو التغريب إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظم من ذلك، ثم ذكروا العلة فيه وهي قولهم: {يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ} والمعنى أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا أفقده أقبل علينا بالميل والمحبة {وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صالحين} وفيه وجوه: الأول: أنهم علموا أن ذلك الذي عزموا عليه من الكبائر فقالوا: إذا فعلنا ذلك تبنا إلى الله ونصير من القوم الصالحين. والثاني: أنه ليس المقصود ههنا صلاح الدين بل المعنى يصلح شأنكم عند أبيكم ويصير أبوكم محباً لكم مشتغلاً بشأنكم. الثالث: المراد أنكم بسبب هذه الوحشة صرتم مشوشين لا تتفرغون لإصلاح مهم، فإذا زالت هذه الوحشة تفرغتم لإصلاح مهماتكم، واختلفوا في أن هذا القائل الذي أمر بالقتل من كان؟ على قولين: أحدهما: أن بعض إخوته قال هذا. والثاني: أنهم شاوروا أجنبياً فأشار عليهم بقتله، ولم يقل ذلك أحد من إخوته، فأما من قال بالأول فقد اختلفوا فقال وهب: إنه شمعون، وقال مقاتل: روبيل.

فإن قيل: كيف يليق هذا بهم وهم أنبياء؟

قلنا: من الناس من أجاب عنه بأنهم كانوا في هذا الوقت مراهقين وما كانوا بالغين، وهذا ضعيف، لأنه يبعد من مثل نبي الله تعالى يعقوب عليه السلام أن يبعث جماعة من الصبيان من غير أن يكون معهم إنسان عاقل يمنعهم من القبائح. وأيضاً أنهم قالوا: {وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صالحين} وهذا يدل على أنهم قبل التوبة لا يكونون صالحين، وذلك ينافي كونهم من الصبيان، ومنهم من أجاب بأن هذا من باب الصغائر، وهذا أيضاً بعيد لأن إيذاء الأب الذي هو نبي معصوم، والكذب معه والسعي في إهلاك الأخ الصغير كل واحد من ذلك من أمهات الكبائر، بل الجواب الصحيح أن يقال: إنهم ما كانوا أنبياء، وإن كانوا أنبياء إلا أن هذه الواقعة إنما أقدموا عليها قبل النبوة.

ثم إنه تعالى حكى أن قائلاً قال: {لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ} قيل إنه كان روبيل وكان ابن خالة يوسف وكان أحسنهم رأياً فيه فمنعهم عن القتل، وقيل يهودا، وكان أقدمهم في الرأي والفضل والسن. ([٢٧])

وهكذا بتوا الحكم في قضية يوسف عليه السلام و اختار قذفه في البئر ثم يباع بعد ذلك بيع الرقيق و تخيل لذلك الفكر المشوش بأنهم رتبوا صالحهم على اقتراف تلك الجريمة فأي صلاح يأتي من خلال تلك المؤامرة الفظيعة؟!

يقول سيد قطب - رحمه الله - {وتكونوا من بعده قوماً صالحين} !. .

هكذا ينزغ الشيطان، وهكذا يسول للنفوس عندما تغضب وتفقد زمامها، وتفقد صحة تقديرها للأشياء والأحداث. وهكذا لما غلا في صدورهم الحقد برز الشيطان ليقول لهم: اقتلوا. . والتوبة بعد ذلك تصلح ما فات! وليست التوبة هكذا. إنما تكون التوبة من الخطيئة التي يندفع إليها المرء غافلاً جاهلاً غير ذاكر؛ حتى إذا تذكر ندم، وجاشت نفسه بالتوبة. أما التوبة الجاهزة! التوبة التي تعد سلفاً قبل ارتكاب الجريمة لإزالة معالم الجريمة، فليست بالتوبة، إنما هي تبرير لارتكاب الجريمة يزينه الشيطان!

ولكن ضميراً واحداً فيهم، يرتعش لهول ما هم مقدمون عليه. فيقترح حلاً يريحهم من يوسف، ويخلي لهم وجه أبيهم، ولكنه لا يقتل يوسف، ولا يلقيه في أرض مهجورة يغلب فيها الهلاك. إنما يلقيه في الجب على طريق القوافل، حيث يرجح أن تعثر عليه إحدى القوافل فتنقذه وتذهب به بعيداً:

{قال قائل منهم: لا تقتلوا يوسف، وألقوه في غيابة الجب، يلتقطه بعض السيارة. إن كنتم فاعلين}. .ونحس من قوله: {إن كنتم فاعلين}. .

روح التشكيك والتثبيط. كأنه يشككهم في أنهم مصرون على إيقاع الأذى بيوسف. وهو أسلوب من أساليب التثبيط عن الفعل، واضح فيه عدم الارتياح للتنفيذ. ولكن هذا كان أقل ما يشفي

---

[٢٧] – تفسير الرازي –(ج ٩ / ص ٢)

حقدهم ؛ ولم يكونوا على استعداد للتراجع فيما اعتزموه. . نفهم هذا من المشهد التالي في السياق. ([٢٨])

من التخطيط إلى التنفيذ

لما اقترح أحدهم عليه بالطرح في غيابت الجب كأنهم وجدوا ذلك حلاً مناسبا للتخلص من يوسف - عليه السلام - و اجمعوا على ذلك و بدؤوا في التنفيذ السريع الذي لا يحتمل التوقف فذهبوا إلى أبيهم ليأذن لهم في صحبة يوسف عليه السلام و دار الحوار الذي نذكره العزيز الجبار فقال تعالى **{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤)** يوسف}

فها هم أولاء عند أبيهم ، يراودنه في اصطحاب يوسف معهم منذ الغداة. وها هم أولاء يخادعون أباهم ، ويمكرون به وبيوسف. فلنشهد ولنستمع لما يدور {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤) يوسف} .

والتعبير يرسم بكلماته وعباراته كل ما بذلوه ليتدسسوا به إلى قلب الوالد المتعلق بولده الصغير الحبيب ، الذي يتوسم فيه أن يكون الوارث لبركات أبيه إبراهيم. .

{يا أبانا} بهذا اللفظ الموحى المذكر بما بينه وبينهم من آصرة.

{مالك لا تأمنا على يوسف؟}. .

سؤال فيه عتب وفيه استنكار خفي ، وفيه استجاشة لنفي مدلوله من أبيهم ، والتسليم لهم بعكسه وهو تسليمهم يوسف. فهو كان يستبقي يوسف معه ولا يرسله مع إخوته إلى المراعي والجهات الخلوية التي يرتادونها لأنه يحبه ويخشى عليه ألا يحتمل الجو والجهد الذي يحتملونه وهم كبار ، لا

[٢٨] – في ظلال القرآن –(ج ٤ / ص ٢٩٤)

لأنه لا يأمنهم عليه. فمبادرتهم له بأنه لا يأتمنهم على أخيهم وهو أبوهم، مقصود بها استجاشته لنفي هذا الخاطر؛ ومن ثم يفقد إصراره على احتجاز يوسف. فهي مبادرة ماكرة منهم خبيثة!

{مالك لا تأمنا على يوسف؟ وإنا له لناصحون}..

قلوبنا له صافية لا يخالطها سوء وكاد المريب أن يقول خذوني فذكر النصح هنا وهو الصفاء والإخلاص يشي بما كانوا يحاولون إخفاءه من الدغل المريب..

{أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون}..

زيادة في التوكيد، وتصويراً لما ينتظر يوسف من النشاط والمسرة والرياضة، مما ينشط والده لإرساله معهم كما يريدون.

ورداً على العتاب الاستنكاري الأول جعل يعقوب ينفي بطريق غير مباشر أنه لا يأمنهم عليه، ويعلل احتجازه معه بقلة صبره على فراقه وخوفه عليه من الذئاب:

{قال: إني ليحزنني أن تذهبوا به، وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون}..

{إني ليحزنني أن تذهبوا به}..

إنني لا أطيق فراقه. .... ولا بد أن هذه هاجت أحقادهم وضاعفتها. أن يبلغ حبه له درجة الحزن لفراقه ولو لبعض يوم، وهو ذاهب كما قالوا له للنشاط والمسرة.

{وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون}. .... ولا بد أنهم وجدوا فيها عذراً كانوا يبحثون عنه، أو كان الحقد الهائج أعماهم فلم يفكروا ماذا يقولون لأبيهم بعد فعلتهم المنكرة، حتى لقنهم أبوهم هذا الجواب!

واختاروا أسلوباً من الأساليب المؤثرة لنفي هذا الخاطر عنه:

{قالوا: لئن أكله الذئب ونحن عصبة، إنا إذن لخاسرون}..

لئن غلبنا الذئب عليه ونحن جماعة قوية هكذا فلا خير فينا لأنفسنا وإننا لخاسرون كل شيء، فلا نصلح لشيء أبداً!

وهكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد ولذلك الإحراج.

ليتحقق قدر الله وتتم القصة كما تقتضي مشيئته!

والآن لقد ذهبوا به، وها هم أولاء ينفذون المؤامرة النكراء. والله سبحانه يلقي في روع الغلام أنها محنة وتنتهي، وأنه سيعيش وسيذكّر إخوته بموقفهم هذا منه وهم لا يشعرون أنه هو: **{فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب. وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون}** ([٢٩]).

فقد استقر أمرهم جميعاً على أن يجعلوه في غيابة الجب، حيث يغيب فيه عنهم. وفي لحظة الضيق والشدة التي كان يواجه فيها هذا الفزع، والموت منه قريب، ولا منقذ له ولا مغيث. وهو وحده صغير وهم عشرة أشداء. في هذه اللحظة اليائسة يلقي الله في روعة أنه ناج، وأنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع، وهم لا يشعرون بأن الذي يواجههم هو يوسف الذي تركوه في غيابة الجب وهو صغير.

وندع يوسف في محنته في غيابة الجب، يؤنسه ولا شك ما ألقى الله في روعه ويطمئنه، حتى يأذن الله بالفرج. ندعه لنشهد إخوته بعد الجريمة يواجهون الوالد المفجوع:

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٦- ١٨]. .

لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة، فلو كانوا أهدأ أعصاباً ما فعلوها منذ المرة الأولى التي يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم! ولكنهم كانوا معجلين لا يصبرون، يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى. كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلاً على التسرع، وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس، وهم ينفونها، ويكادون يتهكمون بها. فلم يكن من المستساغ أن

[٢٩] – في ظلال القرآن – (ج ٤ / ص ٢٩٥)

يذهبوا في الصباح ليتركوا للذئب الذي حذرهم أبوهم منه أمس! وبمثل هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لطخوه به في غير إتقان، فكان ظاهر الكذب حتى ليوصف بأنه كذب. .

فعلوا هذا.

{وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب}.

ويحسون أنها مكشوفة، ويكاد المريب أن يقول خذوني، فيقولون:

{وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين}. .

أي وما أنت بمطمئن لما نقوله، ولو كان هو الصدق، لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقول.

وأدرك يعقوب من دلائل الحال، ومن نداء قلبه، أن يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم دبروا له مكيدة ما. وأنهم يلفقون له قصة لم تقع، ويصفون له حالاً لم تكن. فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمراً منكراً وذللته ويسرت لهم ارتكابه؛ وأنه سيصبر متحملاً متجملاً لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو، مستعيناً بالله على ما يلفقونه من حيل وأكاذيب:

{قال: بل سولت لكم أنفسكم أمراً. فصبر جميل. والله المستعان على ما تصفون}.

قال عدي بن زيد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهندِ

ثم لنعد سريعاً إلى يوسف في الجب، ([٣٠])

محنته عليه السلام و هو في الجب و بيعه {وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) يوسف}

[٣٠] – في ظلال القرآن – (ج ٤ / ص ٢٩٥ – ٢٩٧

وقوله: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} أي: يعلم ما يفعله إخوة يوسف ومشتروه، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه، ولكن له حكمة وقَدرَ سابق، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين.

وفي هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ، وإعلامه له بأنني عالم بأذى قومك، وأنا قادر على الإنكار عليهم، ولكني سأملي لهم، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم، كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته.

وقوله: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} يقول تعالى: وباعه إخوته بثمن قليل، قاله مجاهد وعِكْرِمة. والبخس: هو النقص، كما قال تعالى: {فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا} [الجن: ١٣] أي: اعتاض عنه إخوته بثمن دُونٍ قليل، وكانوا مع ذلك فيه من الزاهدين، أي: ليس لهم رغبة فيه، بل لو سألوه بلا شيء لأجابوا.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: إن الضمير في قوله: {وَشَرَوْهُ} عائد على إخوة يوسف.

وقال قتادة: بل هو عائد على السيارة.

والأول أقوى؛ لأن قوله: {وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} إنما أراد إخوته، لا أولئك السيارة؛ لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه، فيرجح من هذا أن الضمير في {وَشَرَوْهُ} إنما هو لإخوته.

وقيل: المراد بقوله: {بَخْسٍ} الحرام. وقيل: الظلم. وهذا وإن كان كذلك، لكن ليس هو المراد هنا؛ لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على كل حال، وعلى كل أحد، لأنه نبي ابن نبي، ابن نبي، ابن خليل الرحمن، فهو الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، وإنما المراد هنا بالبخس الناقص أو الزيوف أو كلاهما، أي: إنهم إخوته، وقد باعوه ومع هذا بأنقص

الأثمان ؛ ولهذا قال: {دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} فعن ابن مسعود باعوه بعشرين درهما، وكذا قال ابن عباس، ونَوْف البَكَالي، والسُّدِّي، وقتادة، وعطية العَوْفي وزاد: اقتسموها درهمين درهمين.)([31])

{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)}

أخي المسلم: تأمل كيف خطط هؤلاء للتخلص من يوسف عليه السلام وكيف كانت عناية الملك العلام بهذا الطفل الصغير الذي تنكر له أقرب الناس إليه ولكن:

وإذا العناية لحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)}

يقول الرازي - رحمه الله: {وكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأرض} أي كما أنعمنا عليه بالسلامة من الجب مكناه بأن عطفنا عليه قلب العزيز، حتى توصل بذلك إلى أن صار متمكناً من الأمر والنهي في أرض مصر.

واعلم أن الكمالات الحقيقية ليست إلا القدرة والعلم وأنه سبحانه لما حاول إعلاء شأن يوسف ذكره بهذين الوصفين، أما تكميله في صفة القدرة والمكنة فإليه الإشارة بقوله: {مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأرض} وأما تكميله في صفة العلم، فإليه الإشارة بقوله: {وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الاحاديث} وقد تقدم تفسير هذه الكلمة.

ثم قال تعالى: {والله غَالِبٌ على أَمْرِهِ} وفيه وجهان: الأول: غالب على أمر نفسه لأنه فعال لما يريد لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في أرضه وسمائه، والثاني: والله غالب على أمر يوسف، يعني أن انتظام أموره كان إلهياً، وما كان بسعيه وإخوته أرادوا به كل سوء ومكروه والله أراد به

[31] - -تفسير ابن كثير -(ج ٤ / ص ٣٧٦ - ٣٧٧

الخير، فكان كما أراد الله تعالى ودبر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله. واعلم أن من تأمل في أحوال الدنيا وعجائب أحوالها عرف وتيقن أن الأمر كله لله، وأن قضاء الله غالب. (٣٢)

وقد وصل يوسف إلى مصر، وبيع بيع الرقيق ؛ ولكن الذي اشتراه توسم فيه الخير والخير يتوسم في الوجوه الصباح، وبخاصة حين تصاحبها السجايا الملاح فإذا هو يوصي به امرأته خيراً، وهنا يبدأ أول خيط في تحقيق الرؤيا.

ولكن محنة أخرى من نوع آخر كانت تنتظر يوسف حين يبلغ أشده، وقد أوتي حكماً وعلماً يستقبل بهما هذه المحنة الجارفة التي لا يقف لها إلا من رحم الله. إنها محنة التعرض للغواية في جو القصور، وفي جو ما يسمونه «الطبقة الراقية» وما يغشاها من استهتار وفجور. . ويخرج يوسف منها سليماً معافى في خلقه وفي دينه، ولكن بعد أن يخالط المحنة ويصلاها. .

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢١- ٢٢].

إن السياق لا يكشف لنا حتى الآن عمن اشتراه، وسنعلم بعد شوط في القصة أنه عزيز مصر (قيل: إنه كبير وزرائها) ولكنا نعلم منذ اللحظة أن يوسف قد وصل إلى مكان آمن، وأن المحنة قد انتهت بسلام، وأنه مقبل بعد هذا على خير:

{أكرمي مثواه}. .

والمثوى مكان الثويّ والمبيت والإقامة، والمقصود بإكرام مثواه إكرامه، ولكن التعبير أعمق، لأنه يجعل الإكرام لا لشخصه فحسب، ولكن لمكان إقامته. . وهي مبالغة في الإكرام. في مقابل مثواه في الجب وما حوله من مخاوف وآلام!

ويكشف الرجل لامرأته عما يتوسمه في الغلام من خير، وما يتطلع إليه فيه من أمل:

---

٣٢ – تفسير الرازي – (ج ٩ / ص ١٥)

{عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً}. .

ولعلهما لم يكن لهما أولاد كما تذكر بعض الروايات. ومن ثم تطلع الرجل أن يتخذاه ولداً إذا صدقت فراسته، وتحققت مخايل نجابته وطيبته مع وسامته.

وهنا يقف السياق لينبه إلى أن هذا التدبير من الله، وبه وبمثله قدر ليوسف التمكين في الأرض وها قد بدأت بشائره بتمكين يوسف في قلب الرجل وبيته ويشير إلى أنه ماض في الطريق ليعلمه الله من تأويل الأحاديث على الوجهين اللذين ذكرناهما من قبل ويعقب السياق على هذا الابتداء في تمكين يوسف بما يدل عليه من قدرة الله غالبه، لا تقف في طريقها قوة، وأنه مالك أمره ومسيطر عليه فلا يخيب ولا يتوقف ولا يضل:

{وكذلك مكنا ليوسف في الأرض، ولنعلمه من تأويل الأحاديث. والله غالب على أمره} وها هو ذا يوسف أراد له إخوته أمراً، وأراد له الله أمراً، ولما كان الله غالباً على أمره ومسيطراً فقد نفذ أمره، أما إخوة يوسف فلا يملكون أمرهم فأفلت من أيديهم وخرج على ما أرادوا: {ولكن أكثر الناس لا يعلمون}. (٣٣)

صور من حياة عيسى عليه السلام في طفولته

أخي المسلم .. أختي المسلمة: نعيش الآن مع صور من طفولة نبي الله تعالى – عيسى ابن مريم – عليهما السلام – و حياته كلها عبر و عظات و حكم بالغات إن دلت فإنما تدل على قدرة رب الأرض و السموات، تعال لنعيش الأيام الأولى له بعد الولادة كيف كان آية كما كان في حمله آية حيث قال الله- تعالى - لأمه {قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا } [مريم: ٢١]

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ

(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا {٢٩} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا {٣٠} وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا {٣١} وَبَرًّا

---

٣٣ – في ظلال القرآن – (ج ٤ / ص ٢٩٨)

بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً {٣٢} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً {٣٣} سورة مريم.

لا شك أن عيسى - عليه السلام- تكلم في المهد كما جاء في سورة مريم أعلاه . وكما قال رسول الله (ﷺ) : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ..([٣٤])

إلا أن العلماء اختلفوا في بداية نكلم عيسى - عليه السلام- في المهد .

هل كان عندما كان في شرقي المسجد الأقصى؟

أو كان عندما رجعت مريم ومعها ولدها ودخلت على قومها؟

وإليك البيان : قال الله تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً {١٦} فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً {١٧} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً {١٨} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً {١٩} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً {٢٠} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً {٢١} فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً {٢٢} فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً {٢٣} فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً {٢٤} وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً {٢٥} فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً {٢٦} فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً {٢٧} يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً {٢٨} فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً {٢٩} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً {٣٠} وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً {٣١} وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً {٣٢} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً {٣٣} سورة مريم .

[٣٤] – أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء في بابين رقم (٣٤٣٦)، ومسلم في كتاب / البر والصلة –باب: تقديم بر الوالدين على التطوع، وأحمد (٣٩٥/٢، ٣٨٥، ٤٣٣، ٤٣٤).

في هذا المشهد يصور الله تعالى لنا حال مريم- عليها السلام – عندما وضعت عيسى عليه السلام – حثت الأُم بالإجهاد الشديد بعدما وضعت جنينها انتابتها هموم وأحزان منها :

❖- أنها في حالة ضعف وإعياء شديد وهي في مكان لا طعام ولا شراب فيه و أشد ما تكون المرأة ضعفا عند وضعها والذي ينظر في الواقع يرى ذلك و خاصة عندما تلد أول مرة

❖- ومنها : كيف ستواجه قومها بذلك الحدث الذي لم تعهده البشرية من ذي قبل فلا يوجد في مخيلة الناس وأعرافهم مولود بدون أب.

❖- الثالث : ما هو مصيرها بعدما يرى قومها ذلك المولود.

هنا تدخلت العناية الربانية لتكشف عهنا كربها وتفرج همها وتمثلت العناية في عدة مور

❖النداء الذي من خلاله تنقشع سحابة الخوف ويفرج به ما يضيق به الصدر.

❖ الأمر بالجد والعمل عندما تدلهم الخطوب وذلك متمثل في هز جذع النخلة.

❖انفجار عين الماء.

وهيا لنعيش مع العلماء وهم يوضحون لنا متى بدأ الكلام في المهد

يقول الشنقيطي – رحمه الله - قوله تعالى : {فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا }

اعلم أولا أن في هذا الحرف قراءتين سبعيتين : قرأه نافع ، وحفص عن عاصم ، وحمزة والكسائي فناداها من تحتها ، بكسر الميم على أن «من» حرف جر ، وخفض تاء «تحتها» لأن الظرف مجرور بـ «من» وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم «فناداها من تحتها» بفتح ميم «من» على أنه اسم موصول هو فاعل «نادى» أي ناداها الذي تحتها ، وفتح «تحتها» فعلى القراءة الأولى ففاعل النداء ضمير محذوف ، وعلى الثانية فالفاعل الاسم الموصول الذي هو «من».

وإذا عرفت هذا فاعلم أن العلماء مختلفون في هذا المنادي الذي ناداها المعبر عنه في إحدى القراءتين بالضمير، وفي الثانية بالاسم الموصول من هو؟ فقال بعض العلماء : هو عيسى ، وقال بعض

العلماء: هو جبريل، وممن قال: «إن الذي نادى مريم هو جبريل» ابن عباس، وعمرو بن ميمون الأودي، والضحاك، وقتادة، والسدي، وسعيد بن جبير في إحدى الروايتين عنه، وأهل هذا القول قالوا: لم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها.

وممن قال إن الذي ناداها هو عيسى عندما وضعته: أُبي، ومجاهد، والحسن، ووهب بن منبه، وسعيد بن جبير في الرواية الأخرى عنه وابن زيد.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن من قال إنه الملك يقول : فناداها جبريل من مكان تحتها ؛ لأنها على ربوة مرتفعة ، وقد ناداها من مكان منخفض عنها ، وبعض أهل هذا القول يقول : كان جبريل تحتها يقبل الولد كما تقبله القابلة ، والظاهر الأول على هذا القول ، وعلى قراءة «فناداها من تحتها» بفتح الميم وتاء «تحتها» عند أهل هذا القول ، فالمعنى فناداها الذي هو تحتها ، أي : في مكان أسفل من مكانها ، أو تحتها يقبل الولد كما تقبل القابلة ، مع ضعف الاحتمال الأخير كما قدمنا ، أي : وهو جبريل فعلى القراءة الأولى على هذا القول «فناداها» هو ، أي : جبريل من تحتها ، وعلى القراءة الثانية «فناداها من تحتها» أي : الذي تحتها وهو جبريل ، وأما على القول بأن المنادي هو عيسى ، فالمعنى على القراءة الأولى : فناداها هو ، أي : المولود الذي وضعته من تحتها ؛ لأنه كان تحتها عند الوضع ، وعلى القراءة الثانية : «فناداها من تحتها» أي : الذي تحتها وهو المولود المذكور الكائن تحتها عند الوضع ، وممن اختار أن الذي ناداها هو عيسى : ابن جرير الطبري في تفسيره ، واستظهره أبو حيان في البحر ، واستظهر القرطبي أنه جبريل .

قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له- : أظهر القولين عندي أن الذي ناداها هو ابنها عيسى، وتدل على ذلك قرينتان: الأولى أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل ؛ لأن الله قال: فحملته، يعني عيسى فانتبذت به، أي بعيسى.

ثم قال بعده: «فناداها» فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى.

والقرينة الثانية أنها لما جاءت به قومها تحمله ، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه ، كما قال تعالى عنها : فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ، وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته ، وبهذه القرينة الأخيرة استدل سعيد بن جبير في إحدى الروايتين عنه على أنه عيسى ، كما نقله عنه غير واحد ، و «أن» في قوله «ألا تحزني» هي المفسرة ، فهي بمعنى أي ، وضابط «أن» المفسرة أن يتقدمها معنى القول دون حروفه كما هنا ، فالنداء فيه بمعنى القول دون حروفه ومعنى كونها مفسرة : أن الكلام الذي بعدها هو معنى ما قبلها ، فالنداء المذكور قبلها هو : لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا .)([٣٥])

❖ هذا بالنسبة للمنادي و الأمر الثاني :أنه أمرها أن تأتي به أهلها و أخبرها بعدم التكم و الصوم عن الكلام، و كان ذلك من عبادات بين إسرائيل، و أن الذي سيدافع عنها إنما هو ذلك الطفل الذي لم تمر عليه ساعات منذ ولاته و في هذا ربط على قلب هذه الفتاة و تثبيت لها على إيمانها بقدرة الله تعالى {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)

المواجهة والبراءة المعجزة

ما إن وصلت السيدة مريم عليه السلام –إلى قومها وهي تحمل وليدها حتى بدأت الحرب النفسية عليها وذلك من خلال التقريع والتوبيخ بأن والدها كان رجلا صالحا لم تعهد عليه ريبة ولا فاحشة وأن سمعت أُمها بين بني إسرائيل سمعة طيبة فهي العفيفة الطاهرة فما بالك يا مريم لقد ارتكبت أمرا عظيما وإثما مبينا.

[٣٥] – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٩٣–٣٩٥)

دفاع الطفل الرضيع: وعندها أشارت السيدة مريم – إليهم أنها صائمة ولن تكلم اليوم إنسيا وأشارت إليهم أن كلموا هذا الوليد وعندها تعجب القوم من قولها وقالوا {كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} ما رأينا من ذي قبل وليدا يتكلم!!!

و عندها تكلم عيسى - عليه السلام- و أفصح عن كينونته بأنه عبد لله- تعالى- الذي منحني الوجود من غير أب منحني كذلك الكلام في المهد و توجني بالرسالة و أوصاني بالصلاة و الزكاة و أن أكون برا بوالدتي ما دمت حيا{ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)

وهنا ظهرت المعجزة الكبرى بنطق الرضيع ووصف نفسه بتسع صفات هي:

١- **قالَ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ** قال عيسى: إني عبد تام العبودية للّه الكامل الصفات، الذي لا أعبد غيره، فكان أول ما نطق به الاعتراف بالعبودية لربه، وتبرئته عن الولد، تنبيها للنصارى على خطئهم فيما ادعوه له من الربوبية.

٢- **آتانِيَ الْكِتابَ** سينزل علي الإنجيل، وقدّر لي وحكم في الأزل أن أكون نبيا ذا كتاب، وقضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى، وإن لم يكن الكتاب منزّلا في الحال.

٣- **وَجَعَلَنِي نَبِيًّا** أي قدّر لي أن أكون نبيا، وفي هذا تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة، لأن اللّه تعالى لا يجعل الأنبياء أولاد زنى، وإنما هم نخبة عالية من الطهر وصفاء السلالة والمعدن.

٤- **وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ** أي صيرني اللّه نفّاعا للعباد، معلما للخير، هاديا إلى الرشاد في أي مكان وجدت. وعبر تعالى عن هذه الصفات بصيغة الماضي إشارة إلى تحققها وحدوثها فعلا في المستقبل.

٥- **وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا** وأمرني ربي بالصلاة التي تربط العبد بربه وتطهر النفس، وتمنعه عن اقتراف الفاحشة، وأمرني أيضا بزكاة المال التي هي طهرة للمال، وعون للفقير والمسكين، ما دمت على قيد الحياة في الدنيا.

٦- وَبَرًّا بِوالِدَتِي أي وجعلني بارا بوالدتي مريم، وأمرني ببرها وطاعتها والإحسان إليها بعد طاعة ربي، لأن اللّه كثيرا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين. وهذا أيضا دليل على نفي الزنى عنها، إذ لو كانت زانية، لما كان الرسول المعصوم مأمورا بتعظيمها.

٧- ٨: وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا أي ولم يجعلني متعظما عاصيا مستكبرا عن عبادة ربي وطاعته وبر والدتي، فأشقى بذلك.

٩- وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا أي والسلامة علي من كل سوء يوم الميلاد، فلم يضرني الشيطان في ذلك الوقت، ولا أغواني عند الموت، ولا عند البعث، فأنا في أمان لا يقدر أحد على ضري في هذه الأوقات الثلاثة. وهذا إثبات منه لعبوديته للّه عز وجل، وأنه مخلوق من خلق اللّه الذي يحيى ويموت ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد.

دروس وعبر

❖ التسليم لقدرة الله- تعالى- فهو لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فالله خلق ثلاثة من البشر بدون احدى عناصر وجود البشر

أولا: خلق ادم علية السلام بدون أب وأم

وثانيا: خلق حواء بدون أم

ثالثا: وأكمل تلك الحكمة بخلق عيسى علية السلام بدون أب

ذلك قوله {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩]

❖الدرس الثاني: أن كلامه - عليه السلام- فيه رد قوي على الذين يزعمون ألوهية عيسى حيث قال {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)}

الدرس الثالث :أن الله تعالى ينصر أوليائه و يؤيدهم بالمعجزات و الكرامات التي تثبته عند الشدائد و المحن يقول الله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج : ٣٨] فقد منح مريم عليها السلام المعجزات و ثبتها على إيمانها أمام الفتن

الدرس الثالث : وجوب التثبت من الأخبار و عدم الحكم بظواهر الأمور فقوم مريم بادروها بالحكم دون روية و لا تثبت.

الدرس الرابع : أن من المعروف عن بني إسرائيل المادية واللجاجة الواضحة في تصرفاتهم الكلية من قتل للأنبياء وتكذيب رسل الله وسوء معاملة سيدنا موسى وأشياء كثيرة وتحريف الكلم عن موضعه فالله عز وجل أراد أن يريهم قدرته بمعجزة تسطو على كل تلك المادية المتخلفة فخلق لهم من بينهم سيدنا عيسى بدون أب وجعل أمه من أشرف بني إسرائيل حتى لا يكون لديهم ريب أن هذا الطفل له أب من غير زواج وأيضا أيده بالتكلم في المهد.

أخبرك ما خبأت لك أملك؟

ومن المشاهد التي تدل على أن الله تعالى أيد عيسى- عليه السلام- بالمعجزات أنه كان يخبر الأطفال بما في بيوتهم وما خبأته أُمهاتهم.

قال عبد الله عن عمرو بن العاص : كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان ، فكان يقول لأحدهم : تريد أن أخبرك ما خبأت لك أملك؟

فيقول : نعم ،

فيقول : خبأت لك كذا وكذا.

فيذهب الغلام منهم إلى أمه ، فيقول لها : أطعميني ما خبأت لي ، فتقول : وأي شيءٍ خبأت لك؟

فيقول كذا وكذا فتقول له : من أخبرك؟

فيقول: عيسى بن مريم، فقالوا: والله إن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم، فجمعوهم في بيت، وأغلقوا عليهم، فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم حتى سمع ضوضاءهم في بيت، فسأل عنهم فقال: ما هؤلاء؟

كأن هؤلاء الصبيان!

قالوا: لا، إنما هم قردة وخنازير، قال: اللهم اجعلهم قردة وخنازير. فكانوا كذلك.)([٣٦])

الباء بهاء الله

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إن عيسى ﷺ أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب بسم الله، فقال لعيسى: وما باسم؟ قال المعلم: لا أدري، قال عيسى: الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم ملكه، والله لا إله إلا هو، الرحمن رحمان الدنيا واخرة، والرحيم رحيم الآخرة... الحديث([٣٧]).

وعن ابن عباس: أن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد إذ كلمهم طفلاً، حتى إذا بلغ ما يبلغ الغلمان، ثم أنطقه الله بعد ذلك بالحكمة والبيان، قال: فأكثر اليهود فيه وفي أمه من قول الزور، فكان عيسى يشرب اللبن من أمه، فلما فطم أكل الطعام وشرب الشراب حتى بلغ سبع سنين، فكانت اليهود تسميه ابن البغية، فذلك قول الله تعالى: " وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً " فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه للكتاب عند رجلٍ من الكتبيين يعلمه كما يعلم الغلمان، فلا يعلمه شيئاً إلا بدره عيسى إلى علمه قبل أن يعلمه إياه، فعلمه أبا جاد، فقال عيسى: ما أبجد؟ قال المعلم: لا أدري، فقال عيسى: فكيف تعلمني مالا تدري؟

فقال المعلم: إذاً فعلمني،

فقال له عيسى: فقم من مجلسك فقام فجلس عيسى مجلسه، فقال: سلني فقال المعلم: فماذا أبجد؟

---

[٣٦] – مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠٠،)

[٣٧] – مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠٠،)

فقال عيسى: الألف آلاء الله، باء بهاء الله، جيم بهجة الله وجماله - زاد في غيره: دال الله الدائم - فعجب المعلم من ذلك، فكان أول من فسر أبجد عيسى بن مريم. ([٣٨])

نبي الله يحيى- عليه السلام-

{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم: ١٢]

نحيى مع نبي الله يحيى عليه السلام – حيث ان الله تعالى – منحه الحكم و هو صبي صغير فكان – عليه السلام – لا ينشغل بغير ربه و بعبادته و طاعته يقول الله – تعالى {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}[مريم: ١٢]

يقول ابن عاشور – رحمه الله- وهذا يقتضي أن الله أعطاه استقامة الفكر وإدراك الحقائق في حال الصبا على غير المعتاد، كما أعطى نبيئه محمدا ﷺ الاستقامة وإصابة الرأي في صباه. ويبعد أن يكون يحيى أعطي النبوءة وهو صبي، لأن النبوءة رتبة عظيمة فإنما تعطى عند بلوغ الأشد. واتفق العلماء على أن يحيى أعطي النبوءة قبل بلوغ الأربعين سنة بكثير. ولعل الله لما أراد أن يكون شهيدا في مقتبل عمره باكره بالنبوءة.)([٣٩])

يقول ابن كثير – رحمه الله - { وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } أي : الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه وهو صغير حدث [السن] .

قال عبد الله بن المبارك: قال معمر: قال الصبيان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب. قال: ما للعب خلقت، قال: فلهذا أنزل الله: {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} .([٤٠])

ومن هنا ينبغي لنا أن نعلم أبناءنا أن الغاية التي من أجلها خلقنا ليست هي اللعب ولا اللهو ولا بناء القصور ولا جمع الأموال وإنما هي عبادة الكبير المتعال، فكم نرى من أطفال أهملهم الآباء والأمهات وسلموهم للإعلام لينفث فيهم سمه وينمي فيهم الخلاعة والمجون.

---

[٣٨] – مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠٠،)

[٣٩] – التحرير والتنوير (١٦/ ٧٦)

[٤٠] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (٥/ ٢١٦)

يقول الشيخ: رضا الصمدي: نحن لن نتحدث عن قوافل التنصير التي تتصيد الصبية بالحلوى أو عصابات المافيا التي تخطف الأطفال لسرقة أعضائهم وبيعها أو استخدامهم في شبكات الدعارة العالمية مما هو معلوم لكل متابع لأخبار العالم اليوم.

ولكننا سنتحدث عن الدور الإجرامي الذي تقوم به وسائل الإعلام تجاه عقول الأطفال، والتقاليد والعادات المنحرفة التي ينشئون عليها، وحملة التغريب التي تمارس من قبل من يتولون تربيتهم، بالإضافة إلى الحملات الضارية من علمانية موتورة أو قومية مفلسة.

...فماذا ننتظر أن نرى من نشئنا بعد كل هذا ؟!!

...إننا لا نتعجب الآن حينما نرى أطفال المدارس يتبارون في استعراض تبعيتهم للغرب عبر التقليد الأعمى في الملبس والعادات وحتى في المأكل والمشرب.

ولم نعد نستغرب تنافس الأطفال الصغار في ملاحقة الموضات العالمية أو في تقليد مغني الغرب أو ممثليهم وراقصيهم.

ومنذ خمسة عشر عاما تقريبا أحضر إلي بعض الأصدقاء طفلا لم يتجاوز عمره السابعة، وقال لي ذلك الصديق إن هذا الطفل من بيت مغرم بمايكل جاكسون وقد شاهد هذا الطفل كل رقصاته وسمع كل أغانيه، ثم فاجأني ذلك الصديق بطلب غريب فقال: لو سألت هذا الطفل - وهو مسلم للمعلومية - تحب الله أكثر أم مايكل جاكسون؟

لأجابك بالعجب. فلما سألته هذا السؤال، ويبدوا أنه يُسْأَلُ عنه كثيرا أجاب بما يذهب اللب ويجن له العقل إن هذا الطفل الذي لم يبلغ الحلم ليس له من ذنب أن يقول إنني أحب مايكل جاكسون أكثر من الله، ولكن الذنب على المجتمع الذي أوجد صبغة وهوية لهذا الطفل تستسيغ أن تحب المخنثين (وسأغض الطرف عن الكفرة والفجار).

إن هذا الهوس الذي يبرز في مجتمعاتنا كمظهر من مظاهر الانحراف الأخلاقي يتمادى في تأثيره ليصل إلى براءة النشء الصغير وفطرته الطاهرة فيغتالها بدعاوى العصرنة والتطور والموضة.

من لهؤلاء الأطفال؟

من الذي سيحميهم من هذه الموجات الجارفة؟

من الذي سيتقلب أرقاً لملايين الأطفال الذين تستعبدهم تقاليد مجتمع منهزم مخذول؟

إننا بصدد خيانة جماعية يمارسه الآباء والأمهات لهؤلاء الأطفال، فلم يعد أحد من المسلمين يأبه لهم أو يلتفت للأخطار المحدقة بهم، ومما زاد الطين بلة ذلك الميراث الأخرق الذي أجتناه الناس

من المدنية الحديثة ألا وهو مذهب الأنانالية ، فصار كل امرئ يقول : نفسي نفسي ، وإذا ما رأى أطفال المسلمين يتهاوون من حوله لا يتحرك له ساكن ، ولن يتحرك حتى يصاب في ولده نفسه .

وهكذا صرنا نرى الأسر يقع أبناؤها صرعى الإدمان وعصابات المجون وعبدة الشيطان والشُّذّاذ، فلا يتحرك لإصلاحهم غيور، حتى إذا ما وقعت الفأس وبانت الرأس عضوا الأنامل من الندم.

إن أطفال المسلمين مسئولية كل المسلمين، ومستقبلهم هو مستقبل الإسلام نفسه، ومن يغامر في إهمال مستقبله فهو سفيه يجب أن يحجر عليه، ويعامل معاملة السفهاء.

لم يعد الأمر يقبل تطييب الخواطر، ولو ملكت من الأمر شيء لأسقطت ولاية كثير من الآباء لأبنائهم، فما هم بآباء، بل والله ما هم من البشر الأسوياء.

...إن أية فرصة تسنح لداعية في تربية طفل، سواء كان قريبا أو جارا أو ابن صديق أو تلميذ عند الداعية المدرس فلا بد أن يهتبلها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ([41])

صور من طفولة محمد- ﷺ-

أخي المسلم نعيش في هذه الصفحات مع طفولة رسول الله – ﷺ– لنلقي الضوء على بعض منها لنرى عناية الله تعالى بنبيه- – ﷺ– و نرى بعض المشاهد التي نتعلم من خلالها الدروس و العبر

❖❖❖

[41] –٣٠ طريقة لخدمة الدين رضا أحمد صمدي (ص: ٢١٠-٢١٢)

حادثة شق الصدر

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام ذات يوم وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه[٤٢] فشق عن قلبه فاستخرج القلب ، ثم شق القلب فاستخرج منه علقة[٤٣]

فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه [٤٤] وأعاده في مكانه، وجعل الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره[٤٥] فقالوا : إن محمدا قد ق تل ، فجاءوا وهو منتقع اللون ، فقال أنس : فلقد كنت أرى أثر المخيط [٤٦] في صدره . [٤٧]

و قالت حليمة: فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه من الرضاعة في بهمٍ له، النبي عليه الصلاة والسلام نشأ مع الغنم منذ صغره يلعب مع البهم، إذ أتى أخوه يشتد، جاءنا أخوه الذي كان يلعب معه، وأنا وأبوه في البدن ؛ مع الجمال، فقال: إن أخي القرشي أتاه رجلان عليهما ثيابٌ بيض فأخذاه وأضجعاه فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه يشتد لإدراك الغلام الذي شق بطنه، فوجدناه قائماً قد امتقع لونه - تغير- فلما رآنا أجهش إلينا وبكى، قالت: فالتزمته أنا وأبوه، فضممناه إلينا، فقلنا: مالك بأبي أنت؟ فقال: أتاني رجلان وأضجعاني فشقا بطني وصنعا به شيئاً ثم رداه كما هو، فقال أبوه: والله ما أرى ابني إلا وقد أصيب، أي: حدث له شيء مكروه، الحقي بأهله فرديه إليهم قبل أن يظهر له ما نتخوف منه، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فلما رأتنا أنكرت شأننا، لأنهم ألحوا عليها وطلبوا منها في البداية ولما سمحت لهم يرجعون بعد ثلاثة أو أربعة أشهر بهذه السرعة وقالت: ما أرجعكما به قبل أن أسألكماه وقد كنتما حريصين على حبسه؟

---

[٤٢] – الصرع: السقوط والوقوع.

[٤٣] – العلقة: القطعة من الدم الغليظ الجامد.

[٤٤] – لأمه: ضم بعضه إلى بعض.

[٤٥] – الظئر: المرضعة لغير ولدها، ويطلق على زوجها أيضا.

[٤٦] – المخيط: الإبرة

[٤٧] – مسلم (١٦٢).

فقلنا: لا شيء إلا أن قد قضى الله رضاعه وسرنا ما نراه، وكنا نئويه كما تحبون أحب إلينا، فما اقتنعت آمنة فقالت: إن لكما شأناً فأخبراني ما هو؟

فلم تدعنا حتى أخبرناها، لما رأى الصبي الآخر من قدوم اثنين وشق صدره وبطنه وصنعا به شيئاً ورداه كما هو، فقالت: كلا والله، لا يصنع الله ذلك به، إن لابني شأناً أفلا أخبركما خبره؟

إني حملت به فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف عليَّ منه، ولا أيسر منه، ثم أريت حين حملته أنه خرج مني نورٌ أضاء منه أعناق الإبل بـ بصرى - قصور بصرى البعيدة عن مكة - نور عظيم أضاء أعناق الإبل بـ بصرى ، ثم وضعته حين وضعته فوالله ما وقع كما يقع الصبيان، لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، فدعاه عنكما، فقبضته وانطلقنا.)([٤٨])

ما يستفاد من حادثة شق الصدر:

تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده في مضارب بني سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل ([٤٩]) .

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه حادثة شق الصدر في صغره، فعن أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ([٥٠]) ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره- فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال إنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره ([٥١])

ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة

---

[٤٨] – أبو يعلي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢١)، السيرة النبوية بشرح الخشني: (١/ ٢١٤) من طريق ابن إسحاق وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية السيرة، قال الذهبي في السيرة النبوية ص٨: هذا حديث جيد الإسناد وله شواهد تقويها ولذلك فالحديث حسن لشواهده.

[٤٩] – فقه السيرة للبوطي ص٤٧.

[٥٠] – جمعه وضم بعضه إلى بعض (شرح النووي على مسلم ٢/ ٢١٦).

[٥١] – مسلم، كتاب الإيمان، (١/ ٤٥) رقم ٢٥٩.

غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثمًا، ولم يسجد لصنم ([٥٢]) رغم انتشار ذلك في قريش ([٥٣]).

وتحدث الدكتور البوطي عن الحكمة في ذلك فقال: يبدو أن الحكمة في ذلك إعلان أمر الرسول ﷺ وتهييؤه للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته، إنها إذن عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم ([٥٤])، إن إخراج العلقة منه تطهير للرسول ﷺ من حالات الصبا اللاهية العابثة المستهترة، واتصافه بصفات الجد والحزم والاتزان وغيرها من صفات الرجولة الصادقة، كما تدلنا على عناية الله به وحفظه له، وأنه ليس للشيطان عليه سبيل ([٥٥]).

صيانة الله لمحمد ﷺوهو غلام:

و روى محمد بن إسحق قال حدثني بعض أصحابنا: أن رسول الله ﷺ قال : لقد رأيتني و أنا غلام يفع بمكة مع غلمان قريش نحمل حجارة على أعناقنا و قد حملنا أزرنا فوطأنا على رقابنا إذ دفعني دافع ما أراه و قال : اشدد عليك إزارك فشددت إزاري و هذا من نذر الصيانة ليكون عليها ناشئا و لها آلفا)([٥٦]).

صيانة الله لرسول ﷺ و هو يافع :

[و روى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قول : ما هممت بشيء مما كان في الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بيني و بين ما أريد

---

[٥٢] –زعم المستشرق نيكلسون أن حديث شق الصدر أسطورة نشأت عن تفسير الآية (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) وأنه لو كان لها أصل فعلينا أن نخمن أنها تشير إلى نوع من الصرع، وهذا الذي زعمه نيكسون سبقه إليه المشركون حين اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنون فنفى الله عنه ذلك (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ).

[٥٣] – السيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/ ١٠٤).

[٥٤] –فقه السيرة للبوطي، ص٤٧.

[٥٥] –السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: ٥٣) السيرة النبوية لأبي فارس ص١٠٦، ١٠٧.

[٥٦] – أعلام النبوة (ص: ٢٤٠)

فإني قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت إلى غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها ما يسمر الشباب فقال: أدخل فخرجت أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقلت: ما هذا؟

قالوا: فلان بن فلان تزوج فلانة ابنة فلان فجلست أنظر إليهم فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس قال: فجئت صاحبي فقال: ما فعلت؟

فقلت: ما صنعت شيئا وأخبرته الخبر.

قال ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك فقال: افعل فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت و دخلت مكة تلك الليلة فجلست أنظر فضرب الله على أذني فو الله ما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمني الله برسالته].

فهذه أحوال عصمته قبل الرسالة و صده عن دنس الجهالة فاقتضى أن يكون بعد الرسالة أعظم و من الأدناس أسلم كفى بهذه الحالة أن يكون من الأصفياء الخيرة إن أمهل و من الأتقياء البررة إن أغفل و من أكبر الأنبياء عند الله تعالى من أرسل مستخلص الفطرة على النظرة و قد أرسله الله تعالى بعد الاستخلاص و طهره من الأدناس فانتفت عن تهم الظنون و سلم من ازدراء العيون ليكون الناس إلى إجابته أسرع و إلى الانقياد له أطوع) ([٥٧]).

❖❖❖❖❖❖❖

[٥٧] – أعلام النبوة (ص: ٢٤٠)

الباب الثالث

الأطفال الذين تكلموا في المهد

صاحب جُريج

عن أبي هريرة عن النبي ﷺقال ❖ لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت يا جريج فقال أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال أين الصبي فجاؤوا به فقال دعوني حتى أصلى فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ([٥٨])

دروس وعبر

في هذه القصة من الغرائب والعجائب ما يجعل المسلم يزداد إيمانا بقدرة الله تعالى وعظمته نذكر منها:

❖ <u>الدرس الأول :</u> إن قصة جريج مليئة بالعبر والعظات ، فهي تبين لنا خطورة عقوق الوالدين وتركِ الاستجابة لأمرهما ، وأنه سبب لحلول المصائب على الإنسان ، فكل هذه المحن والابتلاءات التي تعرض لها هذا العبد الصالح ، كانت بسبب عدم استجابته لنداء أمه ، ومن فوائد القصة

[٥٨] – أخرجه أحمد ٣٠٧/٢(٨٠٥٧). و"البخاري" ١٧٩/٣(. و"مسلم" ٤/٨.

ضرورة أن يلجأ العبد إلى ربه عند الشدائد ، والصلاة هي خير ما يُفْزع إليه عند الكرب ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، وأن الله ينجي العبد ويجعل له فرجاً ومخرجاً ، بصلاحه وتقواه كما أنجى جريجا وبرأه مما نسب إليه .

❖ الدرس الثاني : ومن الفوائد التي لها علاقة بالواقع ، أن الماضين كانوا يعتبرون مجرد النظر إلى وجوه المومسات نوعاً من البلاء والعقوبة ، ولهذا دعت أم جريج على ابنها بتلك العقوبة ، فكيف بحالنا في هذا العصر الذي انفتح الناس فيه على العالم انفتاحا شديدا ، عبر وسائل الاتصال الحديثة ، وعرضت المومسات على الناس صباح مساء عبر أجهزة التلفاز والقنوات الفضائية وعبر شبكة الإنترنت ، ولا شك أن ذلك من العقوبات العامة التي تستوجب من المسلم أن يكون أشد حذرا على نفسه من الوقوع في فتنة النظر الحرام ، فضلا عن مقارفته وارتكاب الفاحشة والعياذ بالله .

وهكذا ظهر لنا أن الابتلاء فيه خير للعبد في دنياه وأخراه ، إذا صبر وأحسن الظن بالله، فجريج كان بعد البلاء أفضل عند الله وعند الناس منه قبل الابتلاء ، نسأل الله السلامة من الفتن وأن يثبتنا عند البلاء .

إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع

إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع إذا نادته أمه : الواحد منا إذا نادته أمه أو ناداه أبوه، وهو يصلي صلاة نافلة، فإن كان يعلم أن أمه ستغضب إذا لم يجبها فإنه يقطع الصلاة ويجيبها، وإذا علم أنها تتحمل لو أتمها خفيفة، أتم النافلة خفيفة وأجاب أمه وأباه وإذا كانت صلاةَ فريضة خَفِّفْ الفريضة، قَصِّر القراءة والركوع والسجود ثم سلم وأجب أمك أو أباك.

إذاً: يؤخذ من هذا الحديث: - تقديم إجابة الأم على صلاة النافلة، وإذا أمكن التخفيف فليخفف ثم يُجب.

- الفرض يخففه ويجيب أمه.

كراهية دعاء الأم على ولدها بشر

❖ الدرس الثالث: من فوائد الحديث: أن الأم لا ينبغي أن تدعو على ولدها بشر: لأن دعاء الأم مستجاب، ولو دعت عليه بشر ربما وقع ذلك فتتأسف وتقول: يا ليتني لم أدعُ عليه: { وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ } [يونس: ١١] من رحمة الله أنه لا يستجيب لنا كل دعاء دعونا به على أنفسنا أو على أولادنا، ولو أن الله يستجيب لنا كل دعاء ندعو به على أنفسنا أو أولادنا لهلكنا وهلك أولادنا منذ زمن بعيد، ولكن قد توافِق الدعوة وقت استجابةٍ وسماءٍ مفتوحةٍ فيقع المكروه بسبب الغضب والاستعجال.

ولذلك فإنه لا ينبغي للأب أو الأم الدعاء على الولد، إنما يدعو للولد بالهداية والصلاح.

ثم إن أم جريج كان دعاؤها أن يجري على ولدها ما يؤدبه، دعت دعاء خاصاً، ما دعت عليه بأن يقع في الفاحشة، وما دعت عليه بأن يقتل ويموت، دعت عليه بأن يريه الله وجوه المومسات، حتى ينتبه ويعي ويرجع ويعرف قدر الأم ودعوة الأم إلى أين تصل.

دعوة الوالدة على ولدها مستجابة

❖ الدرس الرابع : أن دعوة الوالدة مستجابة : يقول النبي ﷺ : (دعوة الوالد لولده ودعوة الوالد على ولده كلاهما مستجاب) .

صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن

❖ الدرس الخامس : أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن : فنلاحظ أن جريجاً لما كان متفرغاً للعبادة مقبلاً على الله كان صاحب قلب قوي، وإيمان سوي، ولذلك ما ضرته المرأة لما تعرضت له، والإنسان لو كان إيمانه ضعيفاً، فدعته امرأة وهي ذات جمال ربما يقع، لكن عندما يكون الإنسان صاحب دين وصاحب عبادة، ليس فقط لا يقع، وإنما لا يلتفت أصلاً، ولذلك جاء في القصة أن جريجاً رحمه الله تعالى لم يلتفت إليها، قال في الحديث: (وكانت امرأة بغي يُتَمَثَّل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتننه، فتعرضت له فلم يلتفت إليها) فلم يلتفت، فالإنسان إذا كان صاحب دين قوي عصمه الله من الفتن.

❖ الدرس السادس: إثبات كرامة الاولياء : فجريج لما رماه لقوم بهذه الفرية صلى الله تعالى ركعتين ثم دعا الله تعالى ان يظهر الحقيقة و استنطق الطفل فتلكم و اخبرهم ان والده راعي الغنم و ليس بجريج

الدرس السابع : الاستعانة بالصلاة عند المدلهمات و حلول النكبات و هكذا فعل جريج – حمه الله تعالى- و لقد ارشدنا الله تعالى إلى ذلك في كتابه فقال {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ } [البقرة: ٤٥]

٢ - ابن امرأة الأخدود

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: " كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا حَتَّى أُعَلِّمَهُ السِّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامَهُ فَعَلَّمَهُ وَكَانَ فِي الطَّرِيقِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَإِذَا رَجَعَ مِنْ عِنْدِ السَّاحِرِ قَعَدَ إِلَى الرَّاهِبِ فَسَمِعَ كَلَامَهُ فَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ ضَرَبُوهُ فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا احْتَبَسَتْ عَلَى السَّاحِرِ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا احْتَبَسَتْ عَلَى أَهْلِكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ خَيْرٌ أَمِ

الرَّاهِبُ، فَأَخَذَ حَجَرًا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَى بِهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا قَدْ أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِذَا ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ قَدْ كَانَ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: لَكَ هَذَا إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ عز وجل فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ عز وجل فَشَفَاكَ فَآمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللَّهُ فَأَتَى الْمَلِكَ يَمْشِي فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَسَأَلَهُ بِمَا شُفِيتَ؟ قَالَ: بِدُعَاءِ الْغُلَامِ. فَأَرْسَلَ إِلَى الْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ قَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ عز وجل وَحْدَهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ فَإِذَا بَلَغَ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ كَيْفَ شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: أَكْفَانِيهِمُ اللَّهُ عز وجل. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: احْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَلِجُوا بِهِ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ فِيهِ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا فَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: أَكْفَانِيهِمُ اللَّهُ عز وجل. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُهُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَأَمَرَ الْأُخْدُودَ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَاقْذِفُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى حَقٍّ ".([٥٩])

---

[٥٩] – أخرجه أحمد ٦/١٦(٢٤٤٢٨). و"مسلم" ٨/٢٢٩(٧٦٢١). و"النسائي" في "الكبرى" ١١٥٩٧

الدروس وعبر

من فوائد القصة :

١- كل مولود يولد على الفطرة، فاقتضت الفطرة السليمة أن تكون مع الحق والخير دائماً وترفض الشر، فوجهت الغلام نحو الخير حين سمع الحق من الراهب ونبذت الشر المتمثل في الساحر الكافر.

٢- لا بأس بالكذب للنجاة من كيد الكافرين عند الضرورة.

٣- علم الغلام بفطرته أن الحق مع الراهب ولكن أراد أن يقيم الحجة (مثل إبراهيم عليه السلام) حيث أقام الحجة على قومه.

٤- الدعاء إلى الله أن يظهر له الحق ويبين له وجه الصواب ويقطع الشك باليقين، وهذا شأن المؤمن يلجأ إلى الله دائماً لحل مشاكله.

٥- إماطة الأذى عن الطريق وتخليص الناس من كرب وقعوا فيه، مشروع ومطلوب يؤجر المسلم عليه، كما صرحت بذلك الأحاديث.

٦- المؤمن الصادق هو الذي ينسب فعل الكرامة إلى الله وليس إلى نفسه.

٧- الاعتراف بالفضل ولو إلى غلام صغير: (أي بني أنت اليوم أفضل مني) .

٨- كل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصدع بالحق لا بد من أن يبتلى، وعليه بالصبر، وله الأجر الكبير عند الله، قال تعالى على لسان لقمان يوصي ولده (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) .

٩- كل من أخطأ في تعبيره لا يترك في خطئه، بل يبين له وجه الصواب، لا سيما في عقيدة التوحيد، فالغلام يقول للوزير: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى، وهذا مطابق لقول الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ).

١٠- إن لله رجالاً أقوياء بإيمانهم ، فمهما عذبوا لا يرجعون عن دينهم ، ولا يرضون الطغاة بكلمة فيها ضعف أو كفر ، ولو حرقوا ، أو نشروا أو أغرقوا وهو الأفضل وقد أشار إليهم الله سبحانه وتعالى بقوله : (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) ، وقد سمح الله للمؤمن أن ينطق بالكفر إذا أكره عليه فقال سبحانه وتعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

١١- لا بد لكلمة الحق أن تنتصر، فالملك يعجز عن قتل الغلام، ولا يتم له ذلك إلا بطريقة يرسمها الغلام للملك، يعقبها إيمان الشعب وانحدار الملك، ويتحقق قول الله تعالى: (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

١٢- الغلام المؤمن يضحي بنفسه ليؤمن الناس، وهذا شأن المؤمنين المخلصين يسعون لإنقاذ أمتهم، ولو أدى ذلك إلى استشهادهم، فهم إلى الجنة ذاهبون، قال تعالى: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) .

١٣- يثبت الله المؤمنين بالحجج البينات، ويؤيد دينهم بالكرامات، فهذا هو الرضيع ينطق (يا أمه إصبري فإنك على الحق) . والأم تستجيب لهذا الأمر، وتلقي بنفسها مع طفلها صابرة محتسبة.

١٤- مصير المؤمنين إلى الجنة بعد موتهم، ومصير هؤلاء الكفار الحرق في الدنيا، وعذاب جهنم في الآخرة.

١٥- توجيه الطاقات النادرة والذكية إلى خدمة الدين

يقول الشيخ محمد المنجد- حفظه الله - الملاحظ هنا - أيضاً- لما قال: (انظر لي غلاماً فطناً لقناً) يعني: ذكي ويفهم بسرعة، فأهل الجاهلية يحرصون على انتقاء العينات من الأطفال التي لها استعداد للفهم السريع، وعندها ذكاء لكي يعلمونهم الباطل، أفلا يكون أحرى بنا نحن المسلمين أن نوجه الطاقات النادرة في بعض الأطفال إلى وجهات الخير، لو أن واحداً وجد من طفل مثلاً حافظة قوية جداً، لماذا لا يوجهه إلى حفظ القرآن؟ لماذا لا ننتقي من أطفال المسلمين؛ الناس الذين فيهم نبوغ فنعلمهم شرع الله عز وجل، ونعلمهم الأشياء المفيدة حتى الأشياء الدنيوية؟ نوجه طاقاتهم، نوجه هذه العقلية الجبارة التي تكون موجودة في بعض الأطفال إلى معرفة الحق، ودراسة الحق والتمرن والسير عليه وتطبيقه، لا نحتقر أنفسنا، مجتمعات المسلمين فيها طاقات كبيرة تحتاج إلى من يوجه ويستغل فقط، فإذاً شعور المسلمين بالمسئولية تجاه أولادهم من الأمور المهمة.

ملاحظة أخرى في هذا المقطع: (فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر) يعني: هناك شيء غريب وهو: أن هذا الساحر الآن إذا مات ماذا سيستفيد من تعليم الغلام بعد موته؟ هذا الساحر سيموت، يقول: أنا كبرت في السن وسأموت، أعطني غلاماً أعلمه السحر، ماذا يستفيد؟ لا يستفيد شيئاً، ولن يأخذ زيادة لأنه سوف يموت، إذاً لماذا يعلم الغلام السحر؟ لأنه - أيها الإخوة- لو طبعت النفس على الباطل فإن أهل الباطل يتبرعون مجاناً لتعليم باطلهم، لو صار الواحد منطبعاً ومنغمساً في الباطل بكامله كله باطل في باطل، هذا يصل إلى مرحلة - والعياذ بالله- أنه يتبرع تبرعاً بدون مقابل ليضل الناس، لأن الكفر انطبع في قلبه، فصار شيئاً طبيعياً أن يعلم الناس الكفر حتى بدون مقابل، وبدون أجر.

١٦- الإسلام دين الامتحان والابتلاء: يقول الشيخ محمد المنجد- حفظه الله - ثم قال: (وسمع كلامه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه) لماذا يضربه الساحر؟ لأنه تأخر، هذا الضرب الذي تعرض له الغلام منذ البداية يدلنا على ماذا؟ يدلنا على أن

الله عز وجل شاء لهذا الغلام أن يتربى على الابتلاء منذ صغره، الساحر يضرب الغلام؛ لأنه يسمع الحق، هذا ابتلاء يتربى هذا الغلام على الابتلاء منذ البداية، والشخصية المتكاملة هي التي يؤثر فيها الابتلاء تأثيراً إيجابياً، هذا الغلام تعرض للابتلاء في لحظات التكوين، وزمن التربية، وفترة النمو، يعني: منذ صغره تعرض للابتلاء، فصبر على هذا الابتلاء، فكانت النتيجة شخصية قوية ومؤثرة وفاعلة في الواقع، والابتلاء - أيها الإخوة- يناسب طبيعة الدين، الإسلام دين ابتلاءات؛ لأن الناس يفكرون الآن يقولون: نحن نريد إسلاماً سهلاً ما نتعرض فيه للإيذاء، ما نريد واحداً يسخر منا إذا طبقنا الإسلام، نريد ديناً إذا طبقناه لا نتعرض لمصائب ومشاكل، ومن قال: إن الإسلام دين الراحة؟ يقول الله عز وجل: {أَلم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ❖ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢ - ٣] ما هي فائدة الابتلاء والفتن؟ إنها تمحيص: {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٣] لو كان الدين مسألة سهلة بدون متاعب ولا مصائب ولا إيذاء ولا سخرية، ولا همز ولا غمز ولا سجن ولا ضرب ولا شيء، لدخل كل الناس في الدين، ما كان هناك أهل النار، وشطبت هذه النار، لكن لما صار هذا الدين فيه تمحيص وابتلاء وشدة، وفيه ضغط وواقع يضغط عليك، وفيه شهوات وأهواء تحاربك من كل جانب وأنت تصبر على هذه الابتلاءات، هنا تتميز الشخصيات، وهنا يرى الصادق من الكاذب.

١٧- إثبات الكرامة للأولياء:

يقول الشيخ محمد المنجد- حفظه الله - ثم قال: (فرماها فقتلها) وفي هذه الجملة إثبات كرامات الأولياء، وهو أن الله عز وجل من قدرته أنه يخرق العادة لبعض أوليائه، لا يمكن أن يحصل في العادة أن حجراً صغيراً يقتل دابة عظيمة؛ لكن هذه كرامة لهذا الغلام المتمسك بدينه، أجرى الله على يديه خارقة من الخوارق كرامة له، فالإيمان بكرامات الأولياء من عقيدة أهل السنة والجماعة، لكن المشكلة خلط الناس بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لأن أولياء الشيطان من السحرة والدجالين والمشعوذين وأرباب الطرق الصوفية المنحرفة يمكن أن يحصل عندهم خوراق للعادة، فتجد بعضهم يضرب نفسه بسيفٍ يدخل في بطنه ويخرج من ظهره ويسحب السيف وما نزلت منه قطرة دم واحدة، أو يدخل في نار موقدة ويخرج منها سليماً ما فيه شيء، وكيف يكون هذا؟ يكون هذا باستخدام الشياطين، إما أنها تلعب بأعين الناس الذين يشاهدون، أو أنها تمنع الحرق عن هذا الرجل بالقدرة التي عند الشيطان لكي يتوهم الناس أن هذا الدجال وهذا الساحر المشعوذ وشيخ الطريقة أنه ولي من أولياء الله، بينما الحقيقة هو ولي من أولياء الشيطان، فإن قلت لي: أولياء الله لهم خوارق وهؤلاء لهم خوارق، كيف نميز بين الحالتين؟ نقول: واقع هؤلاء وواقع

هؤلاء هو الدليل، فإن رأيت الرجل الذي حصلت على يديه خارقة من خوارق العادة رجلاً مؤمناً تقياً صالحاً عابداً مستقيماً ليس بصاحب بدعة ولا صاحب هوى الذي صارت له الخارقة فتعرف أنه من أولياء الرحمن، لكن هناك رجل دجال ومشعوذ، ويأكل أموال الناس، ويستخدم الخرافات، ويتعامل مع الشياطين، وعنده الطلاسم وهذه الحجابات، فهنا تعرف أنه من أولياء الشيطان.

١٨- عدم أخذ الأجرة على الرقية لمصلحة الدعوة:

يقول الشيخ محمد المنجد- حفظه الله - ثم إن الغلام لما قال له الأعمى: (ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني) فهنا بدأ الغلام يصحح عبارة خطأ، يوجد شيء خطأ في العبارة، قال: (إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل) فوجهه هنا إلى الشافي الحقيقي وهو الله عز وجل، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك) وفي رواية: (لا شافي إلا أنت وحدك لا شريك لك) فهذا درس لمعاشر الأطباء اليوم الذين يذهب إليهم المرضى يجب أن يستقر في عقل الطبيب وأن يكون من الأشياء التي يضعها نصب عينيه، أول ما يأتيه المريض ويعطيه العلاج يوضح الطبيب للمريض من الشافي حقيقة ومن الذي يشفي وإني أنا الطبيب لا أملك شيئاً ولا أملك شفاءً وهذه مجرد أسباب قد تصيب وقد تخيب، وإذا أصابت وشفت، فإن الله هو الذي شفى وهذا الدواء سبب فقط لكن الفاعل الحقيقي الذي شفى هو الله عز وجل، وقس على ذلك من الأشياء الكثيرة التي يحتاج العامة إلى توجيههم فيها.

وفي إهمال الغلام لأمر الهدايا درسٌ عظيم في أن منهج الرسل في عرض الدعوة: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص: ٨٦] الواحد يعرض الدين على الناس لا ليسألهم أجراً ويأخذ منهم مالاً، لا يعظهم لكي يأخذ منهم أجراً، فأجره على الله عز وجل، فهنا الغلام كان من الممكن أن يأخذ، ولأجل أنها رقية قد يقال: ما فيها حرج، لأنه يجوز أخذ المال على الرقية، فهذا قرأ عليه أو دعا له شفي، لكن الغلام هنا هدفه عظيم أعظم من ذلك، بل إنه إذا أخذ المال سقطت هيبته وتقل عظمة الشيء الذي يدعو إليه، لذلك ترى الناس الآن عندما يموت لهم شخص فمن البدع أنهم يستأجرون قارئ قرآن ليقرأ في العزاء، فيجلس الناس الآن وبعض الناس يخشع مع الآيات، فإذا انتهى القارئ، طلب الحساب، وأعطاه وحاسبه، فماذا يكون موقف الناس الآن؟ تذهب كل التأثرات بمجرد ما رأوا القارئ يأخذ الفلوس فيذهب كل شيء، لأن القضية مادية بحتة، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم: (أكثر منافقي أمتي قراؤها))[٦٠] حديثٌ صحيح.

---

[٦٠] – أخرجه ابن المبارك (١٥٢/١، رقم ٤٥١)، وأحمد (١٧٥/٢، رقم ٦٦٣٧) ، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٣٠/٦) شعب الإيمان (٣٦٣/٥ ، رقم ٦٩٥٩) . وأخرجه أيضا: البخاري في التاريخ الكبير (٢٥٧/١). وقال المناوي (٨١/٢): قال في الميزان: إسناده صالح.

(إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن به فشفاه الله عز وجل) قد يقول أحد: كيف أن الغلام يدخل من مدخل دنيوي؟ يقول: أنت إذا آمنت أدعو لك أن تشفى، ولم يقل له: عليك أن تؤمن بالله، فقط، فإذا آمن يقول له: تعال مادام أنك آمنت، لكنه قال: (إن آمنت بالله دعوت الله فشفاك) فهذا أسلوبٌ لا بأس فيه ولا حرج إن شاء الله، بل إن باباً من أبواب الزكاة: المؤلفة قلوبهم، فيُعطى بعض الناس من أموال الزكاة لكف شرهم أو استجلابهم إلى الإسلام، يعني: إذا كان الولد لا يصلي فإذا أعطيته فلوساً صلى، قد يقول أحد: لا تعطه فلوساً حتى لا يتعود فيصلي لأجل الفلوس، نقول له: لا.

أعطه الفلوس، وإذا صلى كافئه مكافأة مادية، لماذا؟ لأنه الآن صحيح أنه يندفع من أجل شيء مادي، لكنه غداً في المستقبل عندما يدخل في الصلاة أكثر وأكثر، ويستشعر فائدة الصلاة، ويستشعر عظمة الله عز وجل وهو يصلي ستزول القضية المادية ويصبح يصلي حتى لو لم تعطه شيئاً، فالخلاصة: لا بأس أن يكون المدخل على الناس لكي يدخلوا في الإسلام أو استجلابهم إلى الدين أو تقريبهم إليه أن يكون في البداية شيئاً مادياً، لكن يستمر الإنسان الصافي النقي بحيث أن الناس في الأخير لا يعتمدون على المادة فقط، لكنه بابٌ على أية حال من أبواب الإسلام وهو: المؤلفة قلوبهم.

١٩- عدم الفرار من معركة الدعوة دليل على رسوخ الإيمان في قلب صاحبه

٢٠- أن من تعرف على الله في الرخاء عرفه الله تعالى في الشدة

٢١- أنه لابد من التضحية والفداء من اجل نشر الدعوة وإثبات مصداقيتها للناس جميعا

٢٢- أن الجزاء من جنس العمل {نَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} [البروج: ١٠]

٣ - الصبي الرضيع

"اللهم لا تجعلني مثله ... اللهم اجعلني مثلها .... " .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: بينما امرأة فيمن كان قبلكم ترضع ابنا لها إذ مر بها فارس متكبر عليه شارة حسنة فقالت المرأة اللهم لا تمت ابني هذا حتى أراه مثل هذا الفارس على مثل هذا الفرس.

قال فترك الصبي الثدي ثم قال اللهم لا تجعلني مثل هذا الفارس. قال ثم عاد إلى الثدي يرضع ثم مروا بجيفة حبشية أو زنجية تجر فقالت المرأة أعيذ ابني بالله أن يموت ميتة هذه الحبشية أو الزنجية.

فترك الثدي وقال اللهم أمتنى ميتة هذه الحبشية أو الزنجية. فقالت أمه يا بنى سألت ربك أن يجعلك مثل ذلك الفارس فقلت اللهم لا تجعلني مثله وسألت ربك أن لا يميتك ميتة هذه الحبشية أو الزنجية فسألت ربك أن يميتك ميتتها قال فقال الصبى إنك دعوت ربك أن يجعلني مثل رجل من أهل النار وإن الحبشية أو الزنجية كان أهلها يسبونها ويضربونها ويظلمونها فتقول حسبي الله حسبي الله.([٦١])

الدروس وعبر

١- أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فتخاف سوء الحال، بخلاف أهل الإيمان الصادق فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة، كما قال تعالى حكاية عن أصحاب قارون حيث خرج عليهم: ؟ { يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} [القصص: ٧٩، ٨٠].

٢- أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على الأنفس بالخير لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشر عنه ولم تذكر نفسها.

٣- ان ملجا المظلومين هو الله رب العالمين.

٤- ان سلاح المؤمن عندما يظلم أن يقول ما قاله الأنبياء والأولياء حسبي الله ونعم الوكيل.

٥- ان الله تعالى يدافع عن الذين امنوا فالله تعالى انطق هذا الطفل الرضيع لبيان أن هذه المرأة مظلومة وهي بريئة مما ترمى به.

٤ - ابن ماشطة بنت فرعون

على طريق الإيمان وعلى طريق التضحية سار المؤمنون والمؤمنات بذلوا في سبيله المهج والأرواح ومن بين هؤلاء امرأة ولكنها ضربت أروع الأمثلة في الثبات على المبدأ واليقين بما أعده الله لأوليائه أنها باعت نفسها ترى لمن وفي أي مكان ؟!

إنها لم تبعها مثل كثير من نساء العصر في سوق النخاسة وفي سوق التبرج والسفور، فكم رأينا امرأة باعت عفتها من أجل الحصول على المال .... ولكن بطلة تلك القصة ثبتت ولم تتزعزع ولم تتحرك عن إيمانها قيد أنملة إنها ماشطة ابنة فرعون وما أدراك ما فرعون ؟!

---

[٦١] – أخرجه أحمد ٢/٣٩٥(٩١٢٤) أخرجه البخاري ٤/٢١٠(٣٤٦٦)

إنها الذي نسي أصله وغره ماله وجنده فقال أنا ربكم الأعلى.

تعال أخي الحبيب لنرى أحداث تلك القصة :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - لما كانت الليلة التي أسري بي فيها أتت علي رائحة طيبة فقلت يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة فقال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها .

قال : قلت : وما شأنها قال بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها فقالت بسم الله فقالت لها ابنة فرعون أبي قالت لا ولكن ربي ورب أبيك الله قالت أخبره بذلك قالت نعم فأخبرته فدعاها فقال يا فلانة وإن لك ربا غيري قالت نعم ربي وربك الله فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها قالت له إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك قالت أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا قال ذلك لك علينا من الحق قال فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدا واحدا إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع وكأنها تقاعست من أجله قال يا أمه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت قال : قال ابن عباس تكلم أربعة صغار عيسى ابن مريم عليه السلام وصاحب جريج وشاهد يوسف وابن ماشطة ابنة فرعون([٦٢])

٥ - شاهد يوسف عليه السلام

قال الله تعالى {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ

---

[٦٢] – أخرجه أحمد (٣٠٩/١ ، رقم ٢٨٢٢) ، والطبراني (٤٥٠/١١ ، رقم ١٢٢٧٩) ، قال الهيثمي (٦٥/١) : رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عطاء بن السائب ، وهو ثقة ، ولكنه اختلط . والحاكم (٥٣٨/٢، رقم ٣٨٣٥) ، وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٣/٢، رقم ١٦٣٦) وقال. الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم: ٤٧٧٢ في ضعيف الجامع.

قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) }[[يوسف: ٢٣]

عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "تكلم أربعة وهم صغار"، فذكر فيهم شاهد يوسف ([٦٣])

قال ابن حجر – رحمه الله – على أنه اختلف في شاهد يوسف: فقيل كان صغيرا، وهذا أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسنده ضعيف، وبه قال الحسن وسعيد بن جبير.

وأخرج عن ابن عباس أيضا ومجاهد أنه كان ذا لحية.

وعن قتادة والحسن أيضا كان حكيما من أهلها.([٦٤])

٦ - ابن رجل اليمامة

"أنت رسول الله" .

عن معرض بن عبد الله بن معيقيب اليمانى عن أبيه عن جده معرض بن معيقيب قال: حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأن وجهه دارة قمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من أهل اليمامة بصبى ولد له قد لفه فى خرقة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا غلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك قال ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب قال قال أبى فكنا نسميه مبارك اليمامة([٦٥])

الباب الرابع

---

[٦٣] – رواه أحمد في مسنده رقم : ٢٨٢٢ ، ٢٨٢٣، ٢٨٢٤ ، ٢٨٢٥ ، وفي آخره : قال" قال ابن عباس : تكلم أربعة صغار ، عيسى بن مريم ، وصاحب جريج ، وشاهد يوسف ، وابن ماشطة فرعون" ، ولم يرفع هذا القول الأخير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإسناده إسناد صحيح.

[٦٤] –. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٣١/ ٢٨)

[٦٥] – أخرجه دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٠٠،) رقم ٢٣٠٩ او بن قانع (١٣٤/٣) ، والخطيب (٤٤٢/٣) .

صور مشرقة في طلب العلم

فضل العلم وأهله

أعلم زادك الله علما وفهما: أن العلم جمال لا يخفى ونسب لا يُجف بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يقسم بالأزلام ولا يري في المنام ولا يورث عن الأعمام ولا يكتب للغلام.

يقول أبو بكر الجزائر: إن فضل العلم لعظيم وان شرفه لعال رفيع فكم من وضيع رفعه العلم إلى ومصاف الشرفاء، وكم من حقير نظمه العلم في سلك العظماء ، به شرف آدم في الملأ الأعلى وبه فاز أهله بالدرجات العلى ، قال الله تعالى ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) [المجادلة : ١١] ﴾.

ولو لم يكن العلم أشرف شيء في الحياة لما طلب الله جل جلاله من رسوله أن يسأله المزيد منها في قوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) [طه : ١١٤] ﴾ [٦٦] ونور العلم لا يحجبه سبع سماوات والشمس تغيب ليلا والقمر يخفي نهارا ونور العلم لا يغيب ليلا ولا نهارا ، بل هو ، وهو في الليل أكد ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) [المزمل : ٦ ، ٧] ﴾ .

والقمران يفنيان والعلم لا يفني، والقمران ينكسفان والعلم لا ينكسف والقمران تارة يضران وتارة ينفعان ، والعلم ينفع ولا يضر بشرطة والقمران في السماء زينة لأهل الأرض ، والعلم في قلب المؤمن وهو في التحت ، ويضيء ما فوقه وما تحته . وبهما ينكشف وجود الخلق ، وبالعلم ينكشف وجود الخالق وضوء هما يقع على الولي والعدو ، والعلم ليس إلا للولي وشعاع الكواكب إلى أسفل وشعاع العلم يصعد إلى العلو والكواكب تطلع من خزانة الفلك والعلم يطلع من خزانة الملك والكواكب علامة والعلم كرامة والكواكب موضع نظر المخلوقين ، والعلم موضع نظر رب العالمين والكواكب نفعها في الدنيا والعلم نفعه في الدنيا والآخرة والشمس تسود الأشياء والعلم يبيضها والشمس تحرق والعلم ينجي ، والقمر يبلي الثياب والعلم يجدد المعارف لأولي الألباب ، و إنما كانوا كالمصابيح في الآخرة لأن الناس يحتاجون إلى العلماء في الموقف في الشفاعة بل وبعد الدخول فينتفع بهم فيها كالمصابيح ، ولذا يقال : أن ذات العلم تكسي نورا ويضيء كالمصباح حقيقة ، ألا تري أن هذه الأمة تدعي غرا محجلين من آثار الوضوء ، فالعالم يتميز على آحاد المؤمنين بأن تصير جنته كلها مضيئة فنعمة العلم أفخر النعم وأجزل القسم ومن آويته فقد أوتي خير كثيرا . أ- هـ)[٦٧]

---

[٦٦] – العلم والعلماء ص ١٧.

[٦٧] – فيض القدير ١ / ١٠٧

فالعلم هو النور في الظلم والأنيس في الوحدة والوزير عند الحادثة فإن اشتغل القلب به دله على المعبود الحق سبحانه وتعالى فإن القلب له مواطن يجول فيها.

يقول أبن القيم - رحمه الله- في بيان منزلة العلم وأهلة أستشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال سبحانه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) **[آل عمران : ١٨]**﴾ وهذا يدل علي فضل العلم وأهله من وجوه .

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

الثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

الثالث: أن في ضمن تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يشهد من خلقه إلا العدول ..."([٦٨]) ..

فالعلم أفضل ما أكتسبه النفوس وحصيلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والأيمان ولهذا قرن بينهما في قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦ [الروم : ٥٦] ﴾ [الروم : ٥٦]. وفي قوله ﴿ ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) **[المجادلة : ١١]** ﴾

وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه والمؤهلون للمراتب العلية، ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقة مسمى العلم والأيمان اللذين بهما السعادة والرفعة " . ([٦٩])

وتأمل هذا التشبيه وذلك المثال الذي ضربه ﷺ لما بعثه الله من العلم والهدي ففي الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلاء والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)([٧٠])

---

[٦٨] – مفتاح دار السعادة جـ ٤٨/١.

[٦٩] – الفوائد ص ١٩١.

[٧٠] – أخرجه البخاري (٤٢/١، رقم ٧٩)، ومسلم (١٧٨٨/٤ رقم ٢٢٨٣) وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١٧٦/١ رقم ٣) ، والبزار (١٤٩/٨ ، رقم ٣١٦٩) ، والرامهرمزى (٢٨/١ ، رقم ١٢) .

فالعلم حياة ونور والجهل موت وظلمة والشر كله سببه عدم الحياة والنور والخير كله سببه النور والحياة فأن النور يكشف عن حقائق الأشياء ويبين مراتبها والحياة هي المصححة لصفات الكمال الموجبة لسديد الأقوال والأعمال. ([٧١])

ويقول أبو بكر الجزائري معلقا على الحديث الماضي : إن دلالة هذا الحديث على فضل العلم لقوية وواضحة جلية فقد تضمن هذا الحديث الشريف مثلا حسنا صادقا عجيبا فصله " القرطبي بقوله : ضرب النبي ﷺ الحديث الشريف لما جاء من الذين مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه وكذا كان الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحي البلد الميت ، فكذا علوم الدين تحي القلب الميت ثم شبه السامعين له الأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها ، منهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه ، غير أنه لم يعمل بنوافله أولم يتفقه فيما جمع لكنه أداه إلى غيره فهو بمنزلة الأرض التي يستقر الماء فيها فينتفع الناس به وهو المشار إليه بقوله (نضر الله أمرا سمع مقالتي فوعاها فأدها كما سمعها))([٧٢])ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظ ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها ، وإنما جمع في المثل بين الطائفتين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها .

وأقول: أنه بأدنى تأمل في هذا المثل الحسن العجيب تظهر فضيلة العلم إذا جعل له رسول الله ﷺ مثلا وهو الغيث النازل من السماء يحمل الخير والبركة إلى أهل الأرض فكما يحي الغيث الأرض الميتة يحي العلم القلوب الميتة وحسب العلم فضيلة أن يكون مادة حياة

وأخرج مالك في الموطأ بلاغا فقال: إن لقمان الحكيم أوصى أبنه فقال **يا بني:** " جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحي القلوب بنور الحكمة كما يحي الله الأرض الميتة بوابل السماء ". ([٧٣])

---

[٧١] – مفتاح دار السعادة جـ ١ ص ٥٤.

[٧٢] – أخرجه مسند أحمد ط الرسالة – (٢٧ / ٣٠١) و الدارمي ١/٧٤–٧٥، وابن ماجه (٢٣١) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٦٠١) ، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٢/١٠، والطبراني في "الكبير" (١٥٤١) ، والحاكم ١/٨٧، والقضاعي في "مسند الشهاب" (١٤٢١) ، والخطيب في "شرف أصحاب الحديث" (٢٥) ، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" ص٤٧ من طرق عن ابن إسحاق، به. وأخرجه ابن ماجه (٢٣١) و (٣٠٥٦) ، والفاكهي في "أخبار مكة" (٢٦٠٤) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٦٠٢) ، والطبراني في "الكبير" (١٥٤٢) من طريق ابن نمير، وأبو يوسف في "الخراج" ٩–١٠،

[٧٣] – أخرجه مالك في الموطأ – رواية يحيى الليثي – (٢ / ١٠٠٢) ١٨٢١ وتقريب زهد ابن المبارك – (١ / ١٧٥) تهذيب الأسماء – (١ / ٥٩٤) ،العلم والعلماء ص ١

وهاهو العليم الخبير سبحانه وتعالى يوضح لنا منزلة العلم عن طريق القصص حتى يرسخ ذلك في نفوس المؤمنين.

ويقول عبد الحليم محمود - رحمه الله - : لقد نشأ القرآن حليفا العلم وأشرف نوره مبشرا بالعلم وأخذ القرآن فيما بعد يوالي الحث على العلم بشتى الأساليب فبين لنا مثلا أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق آدم عليه السلام علمه الأسماء كلها ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) **[البقرة : ٣١]** ثم يبن الله سبحانه أن آدم – بهذه المعرفة – أصبح أسمى من الملائكة ويقول في ذلك ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) **[البقرة : ٣١ ، ٣٢]** ﴾ [البقرة : ٣١]. ولم يكن الملائكة علم بها فأجابوا في تواضع ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) **[البقرة : ٣٢]** ﴾ وبين لهم سبحانه مكانة آدم – بصورة غير مباشرة – حينما قال ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ [البقرة : ٣٣] ﴾ .

صدع بالأمر وبين الله سبحانه وتعالى النتائج حينما أنبائهم بأسمائهم فقال ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) **[البقرة : ٣٣]** ﴾ .

ومن الأمور التي لها مغزاها الواضح والتي تشير إليها، ولا تتعمق فيها أن الله سبحانه وتعالى قال بعد ذلك مباشرة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) **[البقرة : ٣٤]** .

ولقد ذكر الله سبحانه أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم بعد أن بين لهم أن آدم أعلم منهم واستجاب الملائكة للأمر فسجدوا، فكان السياق يوحي بسمو مكانة العلم سموا يصل إلى درجة سجود الملائكة له .

وقصة أخري ثرية بالمغزى والمعني والحكمة : أن رسل الله تعالى صلوات الله وسلامة عليهم في الذروة من المكانة والفضل وفي الذروة من العلم والحكمة، ومع ذلك فها هو ذا موسى عليه السلام يجد السير هو وفتاه من أجل البحث عن علم أنبأه الله بوجوده وبعد جهد وصبر وجداه.

يقول سبحانه : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) [الكهف : ٦٥ - ٧٠] ﴾

ويسيران ويتعلم موسى رسول الله عليه السلام من صاحبه ما لم يكن يعلم ومما أفادته هذه القصة

كما يقول البيضاوي: أن يداوم المرء على التعليم ويتذلل للمعلم ويراعي الأدب في المقال.

ويأخذ **منها السيوطي:** استحباب الرحلة في طلب العلم واستزادة العالم من العلم واتخاذ الزاد للسفر وأنه لا ينافي التوكل ونسبة النسيان ونحوه من الأمور المكروهة إلى الشيطان حجازاً تأدبا عن نسبتها إلى الله تعالى وتواضع المتعلم إلى من يريد الأخذ عنه وتعليمه ما لا يتحمله طبعة، وتقديم المشيئة في الأمور واشتراط المتبوع على التابع، وأنه يلزم الوفاء للشروط، وأن النسيان غير مؤاخذ به .([٧٤]) أ. هـ

❖❖ وها هي أقوال العلماء في الحث على طلب العلم:

قال أحد الحكماء علم الرجل ولده المخلد يعني أن علم المرء يبثه في الناس فيتعلمون به فإنه يثاب عليه ما بقي أحد يعمل به، ويشهد لهذا حديث الصحيح، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له "([٧٥]).

وروي عن علي ﷺ قوله " العلم أفضل من المال لسبعة أوجه هي:

١- العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنة.

٢- العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص بها.

٣- المال يحتاج إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه.

٤- إذا مات الرجل خلف ماله وراءه والعلم يدخل معه في قبره.

٥- المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل إلا للمؤمن.

٦- جميع الناس محتاجون إلى العالم في أمور دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال.

٧- العلم يقوي صاحبه عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه.

وروي عن مصعب بن الزبير ﷺ قال لابنه : يا بني تعلم العلم فإنه إن يك لك مال كان لك العلم جمالاً ، وإن لم يكن لك مال كان لك العلم مالا.)([٧٦])

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال : " يرفعة " تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشيه وطلبة عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه صدقه وبذله لأهله قربة .)([٧٧])

---

[٧٤] – موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة جـ ٢ ص ١١٥ – ١١٨.

[٧٥] – أخرجه أحمد (٣٧٢/٢، رقم ٨٨٣١) ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٨/١ ، رقم ٣٨) ، ومسلم (١٢٥٥/٣ ،رقم ١٦٣١) ، وأبو داود (١١٧/٣ ، رقم ٢٨٨٠) ، والترمذي (٦٦٠/٣ ، رقم ١٣٧٦) (٨٨/١ ، رقم ٢٤٢) . وأخرجه أيضًا: النسائي (٢٥١/٦ ، رقم ٣٦٥١) .

[٧٦] –– تاريخ دمشق – (١١ / ١٢٩)

ومما يؤثر في فضل العلم من الشعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور

وأن امرأ لم يحي بالعلم ميت وليس له حتى النشور نشور)[٧٨]

ويقول أخر.

ما الفخر إلا لأهل العلم انهموا على الهدي لمن أستهدي أدلاء

وقدر كل أمري ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء (٧٩)

يقول العسكري:

" إذا كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر ونباهة الذكر وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزا لا تثلمه الليالي والأيام ولا تتحيَّفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعوانا بغير أجر، وجندا بلا ديوان وفرض، فعليك بالعلم، فاطلبه في مظانه، تأتك المنافع عفوا، وتلق ما يعتمد منها صفوا، واجتهد في تحصيله ليالي قلائل، ثم تذوق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتمتع بلذة الشرف فيه بقية أيامك، واستبق لنفسك الذكر به بعد وفاتك. ". أ.هـ ([٨٠])

أسامة بن زيد- رضي الله عنهما-

ترجمته: أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد: صح أبي جليل. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام (لان أباه كان من أول الناس إسلاما) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا جما وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين. وهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأمره رسول الله، قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفرا موفقا.

ولما توفي رسول الله رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن، المزة، وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف، في آخر خلافة معاوية.

---

[٧٧] – جامع الأحاديث –(١١ / ٢٩٨)و أخرجه الديلمى (٤١/٢ ، رقم ٢٢٣٧) . المدخل للعبدري –(٢ / ٢٢٧) نزهة المجالس ومنتخب النفائس – (١ / ٢٦٢)

[٧٨] – أدب الدنيا والدين –(١ / ٢٧)و طبقات الشافعية الكبرى – (٥ / ٣٤٨)و جواهر الأدب – (٢ / ٥٢) فاكهة الخلفاء و مفاكهة الظرفاء – (١ / ١٧٤)

[٧٩] – الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي –(٢ / ٣٦٥)و إحياء علوم الدين – (١ / ٧)و زهر الأكم في الأمثال و الحكم – (١ / ١٠٩)

[٨٠] – الحث على طلب العلم –(ص ٤٣)

له في كتب الحديث ١٢٨ حديثا.

وفي تاريخ ابن عساكر أن رسول الله استعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر ([٨١]).

ولد "أسامة بن زيد" بمكة المكرمة في العام الرابع من بعثة النبي – ﷺ– ونشأ في الإسلام فلم يعرف دينًا سواه، فأبوه "زيد بن حارثة" من أول الناس إسلامًا، وتربى في بيت النبي – ﷺ– حيث كان يعيش أبواه.

وكان النبي – ﷺ– يحب "أسامة" كما كان يحب أباه ، وبلغ من حب النبي – ﷺ– أنه جعله مثل أهله ، فكان يأخذه هو و"الحسن بن على بن أبى طالب" ويقول: "اللهم أَحبهَّما فإني أُحب")([٨٢]). (رواه البخارى)

تعلم لغة أجنبية في ١٥ يوماً فقط

إنه زيد بن ثابت –رضي الله عنه- ، جاء به قومه إلى النبي – النبي – ﷺ- مفاخرين به فقالوا: هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي – ﷺ - وقال: «يا زيد! تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهودا على كتابي».

قال زيد: فتعلمت كتابهم، ما مرت بي خمس عشرة ليلة، حتى حذقته، وكنت أقرأ له كتبهم إن كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب ([٨٣]).

وتوفى أسامة بن زيد عام (٥٤ هـ) .

عمرو بن سلمة- رضي الله عنه-

الطفل الإمام

ترجمته : عمرو بن سلمة أبو بريد الجرمي

وقيل: أبو يزيد، وهذا الذي كان يؤم قومه في حياة النبي ﷺ وهو صبي (٢) .

---

٨١ – طبقات ابن سعد ٤: ٤٢ وتهذيب ابن عساكر ٢: ٣٩١ – ٣٩٩ والإصابة ١: ٢٩.

٨٢ – خرجه أحمد ٥/٢١٠(٢٢١٧٢).و"البخاري" ٥/٣٠(٣٧٣٥) و"النسائي" ، في "الكبرى" ٨١١٥

٨٣ – مسند أحمد – الرسالة (٣٥/ ٤٩٠)(رقم ٢١٦١٨)

ولأبيه: صحبة، ووفادة.

وقد قيل: إنه وفد مع أبيه، وله رؤية - فالله أعلم - .»([٨٤])

كان – رضي الله عنه يؤم قومه وهو ابن سبع سنوات، لأنه كان أكثرهم حفظاً.

عَنْ «عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ الْجَرْمِيِّ قَالَ: كُنَّا بِحَاضِرٍ يَمُرُّ بِنَا النَّاسُ إِذَا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا مَرُّوا بِنَا فَأَخْبَرُونَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَذَا وَقَالَ كَذَا، وَكُنْت غُلَامًا حَافِظًا، فَحَفِظْتُ مِنْ ذَلِكَ قُرْآنًا كَثِيرًا، فَانْطَلَقَ أَبِي وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَعَلَّمَهُمْ الصَّلَاةَ، وَقَالَ: يَؤُمُّكُمْ أَقْرَؤُكُمْ فَكُنْتُ أَقْرَأَهُمْ لِمَا كُنْتُ أَحْفَظُ، فَقَدَّمُونِي فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ، وَعَلَيَّ بُرْدَةٌ لِي صَغِيرَةٌ، فَكُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَكَشَّفَتْ عَنِّي.

فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ النِّسَاءِ: وَارُوا عَنَّا عَوْرَةَ قَارِئِكُمْ؟ فَاشْتَرَوْا لِي قَمِيصًا عُمَانِيًّا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ مَا فَرِحْتُ بِهِ فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ؟» ([٨٥]).

فانظر يا فتى الإسلام إلى علو همة هذا الطفل الصغير، الذي ذهب بنفسه إلى النبي ﷺ، وسأله عن هذا الدين، وكان يحفظ ما يذكره الركبان من القرآن، حتى صار أكثر قومه قرآنا، فاستحق أن يكون إماماً لهم في الصلاة، وهو في السادسة أو السابعة من عمره..

عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما-

ترجمته: عبد الله بن عباس البحر حبر الامة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الامير رضي الله عنه.

مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين.

---

[٨٤] –«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٢٣)

[٨٥] – «أخرجه البخاري (الفتح ٨ / ٢٢ – ٢٣ ط. السلفية) ، وأبو داود (١ / ٣٩٤ –»

صحب النبي ﷺ نحوا من ثلاثين شهرا، وحدث عنه بجملة صالحة، وعن عمر، وعلي، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وخلق.)([٨٦])

ما أعلم منها إلا ما تقول

لقد كان عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما- شديد الحرص على نيل العلم والترقي في سلم المعرفة ولقد نال من العلم منزلة سامية فساد و عرف الفارق – رضي الله عنه- فكان يجلسه مع شيوخ الصحابة من أهل بدر

عن ابن عباس، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: إذا جاء نصر الله والفتح؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: "هو أجل رسول الله - ﷺ- أعلمه له"، قال: إذا جاء نصر الله والفتح "وذلك علامة أجلك"، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا، فقال عمر: "ما أعلم منها إلا ما تقول "([٨٧])

وفي وراية عن قتادة، وعاصم، أنهما سمعا عكرمة، يقول: قال ابن عباس: دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد - ﷺ- ، فسألهم عن ليلة القدر ،فأجمعوا أنها في العشر الأواخر، قال ابن عباس: فقلت لعمر: إني لأعلم وإني لأظن أي ليلة هي، فقال عمر: وأي ليلة هي؟

فقلت: سابعة تمضي، أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟

---

[٨٦] – سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٥، نسب قريش، ٢٦، طبقات خليفة: ت ٨٢١، ١٤٨٥، ٢٦٠٥، الزهد: ١٨٨، المحبر: ١٦، ٢٤، ٩٢، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٧٨، التاريخ الكبير ٥ / ٣، التاريخ الصغير ١ / ١٢٦، ١٢٧، ١٣٧، أنساب الاشراف ٣ / ٢٧، ٥٥، المعرفة والتاريخ ١ / ٢٤١، ٢٧٠، ٤٩٣، الجرح والتعديل ٥ / ١١٦، المستدرك ٣ / ٥٣٣، الحلية ١ / ٣١٤، جمهرة أنساب العرب: ١٩، ٢٠، وانظر الفهرس، الاستيعاب: ٩٣٣، تاريخ بغداد ١ / ١٧٣،

[٨٧] – أخرجه أحمد ١/٣٣٧(٣١٢٧). و"البخاري" ٤/٢٤٨(٣٦٢٧) والترمذي" ٣٣٦٢ و"النسائي" في "الكبرى" ٧٠٤٠ و١١٦٤٧ ا

فقال ابن عباس: قلت: خلق الله سبع سماوات وسبع أرضين وسبعة أيام، وإن الشهر يدور في سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، لأشياء ذكرها، فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله: ويأكل من سبع، قال: هو قول الله عز وجل: {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا} [عبس: ٢٧، ٢٨] ([٨٨])

وفي رواية عن ابن عباس، قال: قال لي العباس: أي بني، إن أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله - ﷺ - ، فاحفظ عني ثلاث خصال: اتق لا جربن عليك كذبة، ولا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، قال عامر: فقلت لابن عباس: كل واحدة خير من عشرة آلاف . ([٨٩])

وعن الزهري، قال: قال المهاجرون لعمر بن الخطاب: ادع أبناءنا كما تدعو ابن عباس قال: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا وقلبا عقولا" ([٩٠])

عبد الله بن عباس هو حبر الأمة وترجمان القرآن دعا له النبي -ﷺ- فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- قال : ضمني النبي -ﷺ- إلى صدره وقال اللهم علمه الحكمة . ([٩١])
وعنه أن رسول الله -ﷺ- كان في بيت ميمونة فوضعت له وضوءا من الليل قال: فقالت ميمونة يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال : اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل .)([٩٢])
ولكن هل ركن ابن عباس إلى الدعة بل كان عنده نهم وحرص شديد على تحصيل العلم والظفر به قال بن عباس - رضي الله عنهما- : لما توفي رسول الله -ﷺ- قلت لرجل من الأنصار

---

[٨٨] – السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (٤/ ٣١٣) رقم ٨٨١٢و المعجم الكبير (١٠/ ٢٦٤) رقم ١٠٦١٨

[٨٩] – جمهرة خطب العرب (١/ ٢٦٣) المعجم الكبير للطبراني – (٩/ ١٣٠، و الدرر الغراء من وصايا الأنبياء و العلماء و البلغاء لأبنائهم (ص: ٩٧)

[٩٠] – معرفة الصحابة لأبي نعيم – (٣ / ١٧٠٠)(٤٢٦١) صحيح مرسل

[٩١] – خرجه البخاري (٧٥) و (٣٧٥٦) ، والترمذي (٣٨٢٤) ، وابن ماجه (١٦٦) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٣٧٥) ، والنسائي في "الكبرى" (٨١٧٩) ، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٥١٨/١، وابن حبان (٧٠٥٤) ، والطبراني (١٠٥٨٨) و (١١٩٦١) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٣١٥/١، والبغوي (٣٩٤٣)

[٩٢] – أخرجه أحمد ٣٢٨/١ وأخرجه ابن سعد ٣٦٥/٢، وابن أبي شيبة ١١١/١٢–١١٢، ، وابن حبان (٧٠٥٥) ، والطبراني (١٠٥٨٧) ، والحاكم ٥٤٣/٣ وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبراني (١٠٦١٤).

: يا فلان هلم فنسأل أصحاب النبي -ﷺ- فإنهم اليوم كثير فقال : واعجبا لك يا أبن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي -ﷺ- من ترى ؟

فتركت ذلك وأقبلت على المسألة فإذا كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلي فأتيتك؟

فأقول أنا أحق أن آتيك ... فأسأله عن الحديث قال : فبقي الرجل حتى رآني وقد أجتمع الناس على فقال : كان هذا الفتي أعقل مني . (٩٣)

ولما فتحت البلاد آثر ابن عباس من أجل العلم ظمأ الهواجر في دروب المدينة ومسالكها على الظلال والوارفة في بساتين الشام وسواد العراق وشطان النيل ودجلة والفرات قال - رضي الله عنهما٠- " لما فتحت المدائن أقبل الناس على الدنيا ، وأقبلت على عمر - رضي الله عنهما٠- .

لكل بني الدنيا مراد ومقصد وإن مرادي صحة وفراغ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغا يكون به لي للجنان بلاغ
وفي مثل هذا فلينافس أولو النهي وحسبي من الدنيا الغرور بلاغ
في الفوز إلا في نعيم مؤبد به العين رغد والشراب يساغ)(٩٤)

واسمعه - رضي الله عنهما٠- يخبر عن أدبه في طلب العلم " كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم فأقبل على بابه ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظ لي لمكاني من رسول الله -ﷺ- لكني أكره أن أمله " . وقال - رضي الله عنهما٠- كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله -ﷺ- من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازى رسول الله-ﷺ- وما نزل من القران في ذلك ، وكنت لا آتي أحدا إلا سر بإيتاني لقربي من رسول الله -ﷺ- فجعلت أسال أبي بن كعب يوما ؛ وكان من الراسخين في العلم ، عما نزل بالقران في المدينة ؟

فقال نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة (٩٥)

وسئل - رضي الله عنهما٠- : أنى أصبت العلم ؟

---

٩٣ – أخرجه الدارمي في سننه، برقم "٥٧٠" ١/ ١٥٠-١٥١، والخطيب في الجامع "٢١٩" ١/ ٢٣٥-٢٣٦، وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣٠، ورجاله ثقاتوأحمد في الفضائل ١٩٢٥ وإسناده صحيح.

٩٤ – أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض –(١ / ٢٩٨) و الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة – (١ / ٤٦٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب – (١ / ١٥٤) الإحاطة في أخبار غرناطة – (١ / ٣٥٢) نفح الطيب – (٥ / ٥١٥)

٩٥ – الطبقات الكبرى – (٢ / ٣٧١). تاريخ جرجان – (١ / ٢٨٧)

فأجاب : بلسان سؤول . وقلب عقول.)([٩٦])

وها هي ثمار الحرص على طلب العلم يجنيها أبن عباس رضي الله عنه فمن خدم المحابر خدمته المنابر. عن الأعمش: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا أبن عباس وهو أمير على الموسم فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت.)([٩٧])

عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-

ترجمته: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح، بن عدي، بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام القدوة شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي، ثم المدني.أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه لم يحتلم، واستصغر يوم أحد، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة.وأمه و (أم) أم المؤمنين حفصة، زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الجمحي.([٩٨])

ذكاء ين عمر – ضي الله عنهما -

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " مَا شَجَرَةٌ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ؟ " أَوْ قَالَ: " الْمُسْلِمِ؟ " قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " هِيَ النَّخْلَةُ "، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ، فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا، كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا([٩٩])

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري- رحمه الله-

---

[٩٦] – المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي – (١ / ٣٣٢) فضائل الصحابة – أحمد بن حنبل – (٢ / ٩٧٠) أدب السؤال – (١ / ٣٢) طبقات النسابين – (١ / ٢) الوافي بالوفيات – (٤ / ٤٢٦)

[٩٧] – حيلة الأولياء ٣٢٤/١ ، المستدرك ـ للحاكم – (ح ٦٢٩٠)و الاستيعاب – (١ / ٢٨٥)

[٩٨] – سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٧٣ و ٤ / ١٤٢ – ١٨٨، نسب قريش: ٣٥٠ وما بعدها، طبقات خليفة: ت ١٢٠، ١٤٩٦، الزهد: ١٨٩، المحبر: ٢٤، ٤٤٢، التاريخ الكبير ٥ / ٢ و ١٢٥، التاريخ الصغير ١ / ١٥٤، ١٥٥، المعرفة والتاريخ ١ / ٢٤٩، ٤٩٠، الجرح والتعديل ٥ / ١٠٧، المستدرك ٣ / ٥٥٦، الحلية ١ / ٢٩٢ و ٢ / ٧، جمهرة أنساب العرب: ١٥٢، الاستيعاب: ٩٥٠، تاريخ بغداد، ١ / ١٧١، طبقات الفقهاء: ٤٩، الجمع بين رجال الصحيحين ١ / ٢٣٨، تاريخ ابن عساكر: مصورة المجمع: ١١ – ١٦٥، جامع الاصول ٩ / ٦٤،

[٩٩] –وأخرجه الحميدي (٦٧٧)، والبخاري (٦١) و (٦٢)، ومسلم (٢٨١١) (٦٣)، والنسائي في "الكبرى" (١١٢٦١)، والطبري في "التفسير" ١٣/ ٢٠٦، وابن حبان (٢٤٣) و (٢٤٦)،

ترجمته : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى. وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. له من الكتب (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، وكتاب في (الفرائض) وكان آية في الحفظ. من كلامه: ما حفظت شيئا. فنسيته.

ولابن الجوزي كتاب في مناقبه ([١٠٠]).

وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا

قال ابن مهدي: رأى أبو إسحاق السبيعي سفيان الثوري مقبلاً فقال: {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم: ١٢].

قال يحيى بن أيوب العباد: حدثنا أبو المثنى قال: سمعتهم بمرو يقولون: قد جاء الثوري، قد جاء الثوري.

فخرجت أنظر من هذا الثوري الذي يعظمونه هذا التعظيم، فإذا هو غلام قد نقل وجهه، أي: بدأ ينبت شعر وجهه.

قال الذهبي في الإمام الثوري رحمه الله تعالى: كان ينوه بذكره في صغره من أجل فرط ذكائه وحفظه، وحدث وهو شاب رحمه الله تعالى.

سفيان بن عيينة- رحمه الله-

ترجمته: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر،

---

[١٠٠] – الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٥) دول الإسلام ١: ٨٤ وابن النديم ١: ٢٢٥ وابن خلكان ١: ٢١٠ والجواهر المضية ١: ٢٥٠ وطبقات ابن سعد ٦: ٢٥٧ والمعارف ٢١٧ وحلية الأولياء ٦: ٣٥٦ ثم ٧: ٣ وتهذيب التهذيب ٤: ١١١ – ١١٥ وذيل المذيل ١٠٥ وتاريخ بغداد ٩: ١٥١ وصيد الخاطر ١٧٥.

قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. وكان أعور. وحج سبعين سنة. قال علي بن حرب: كنت أحب أن لي جارية في غنج ابن عيينة إذا حدث! له (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير) ([١٠١]).

أوسعوا للشيخ الصغير

قال النصر الهلالي: كنت في مجلس سفيان بن عيينة، فنظر إلى صبي دخل المسجد، فكأنّ أهل المجلس تهاونوا به.

فقال سفيان: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} [النساء: ٩٤].

ثم قال: يا نضر! لو رأيتني ولي عشر سنين، وطولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، أختلف إلى علماء الأمصار، مثل الزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلت المجلس قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير. ثم تبسم ابن عيينة وضحك ([١٠٢]).

محمد بن إسماعيل البخاري- رحمه الله-

ترجمته: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب (الجامع الصحيح - ط) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ - ط) أجزاء منه، و (الضعفاء - ط) في رجال الحديث، و (خلق أفعال العباد - ط) و (الأدب المفرد - ط). ولد في بخارى، ونشأ يتيما، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتابا على هذا النحو. وأقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خرتنك (من

---

[١٠١] – الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٥)تذكرة الحفاظ ١: ٢٤٢ والرسالة المستطرفة ٣١ وصفة الصفوة ٢: ١٣٠وابن خلكان ١: ٢١٠ وميزان الاعتدال ١: ٣٩٧ وحلية الأولياء ٧: ٢٧٠ وذيل المذيل ١٠٨ والشعراني ١: ٤٠ وتاريخ بغداد ٩: ١٧٤.

[١٠٢] – الكفاية في علم الرواية ص (١١٢) نقلا عن: صفحات مضيئة من حياة السابقين (٢/٣٠).

قرى سمرقند) فمات فيها. وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها، وهي: صحيح البخاري (صاحب الترجمة) وصحيح مسلم (٢٠١ - ٢٦١ هـ وسنن أبي داود (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ وسنن الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ وسنن ابن ماجه (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ وسنن النسائي (٢١٥ - ٣٠٣ هـ ولشيخنا محمد جمال الدين القاسمي (حياة البخاري - ط) ([1]).

ما لك لا تكتب مثلنا؟!

وكان الإمام البخاري رحمه الله تعالى ذكياً سريع الحفظ، فقد حفظ سبعين ألف حديث وهو صغير، وكان ينظر إلى الكتاب فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة.

وقال محمد بن حاتم: كنت أختلف أنا والبخاري وهو غلام إلى الكتاب، فيسمع ولا يكتب، وبقي على ذلك أياماً، فكنا نقول له: ما لك لا تكتب مثلنا؟! فلما بلغ ما كبتناه خمسة عشر ألف حديث طلب منا أن نسمعها له، فقرأها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نصلح كتبنا من حفظه! فالله سبحانه وتعالى لا يعطي منصب الإمامة في الدين لأي إنسان، بل لا بد أن يكون متأهلاً ذا جدارة واستحقاق.

وروى الذهبي عن محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت الإمام أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى يحكي عن طفولته يقول: كنت أختلف إلى الفقهاء بمروٍ وأنا صبي، فإذا جئت أستحيي أن أسلم عليهم.

أي: لأنه صبي صغير يجلس مجالس العلماء الكبار والمحدثين، فكان يستحي أن يسلم عليهم، فدخل مرة فقال له مؤدب من أهل مرو: كم كتبت اليوم؟ قال: فقلت: اثنين، وأردت بذلك حديثين، وليس رقم اثنين، فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم: لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوماً.

---

[1] – الأعلام للزركلي (٦/ ٣٤) تذكرة الحفاظ ٢: ١٢٢ وتهذيب التهذيب ٩: ٤٧ والوفيات ١: ٤٥٥ وتاريخ بغداد ٢: ٤ – ٣٦ وتهذيب وتهذيب الأسماء واللغات، القسم الأول من الجزء الأول ٦٧ والسبكي ٢: ٢ والخميس ٢: ٣٤٢ وآداب اللغة ٢: ٢١٠ ودائرة المعارف الإسلامية ٣: ٤١٩ – ٤٢٦ وطبقات الحنابلة ١: ٢٧١ – ٢٧٩ ومعجم المطبوعات ٥٣٤ وانظر هدى الساري مقدمة فتح البخاري ٢: ١٩٣ – ٢٠٦ و

فهذا الشيخ تفرس في الإمام البخاري النجابة منذ صغره.

وقال بكير بن منيف: سمعت البخاري يقول: كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب الجامع لسفيان الثوري من كتاب والدي، فمر أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ما ذكر فراجعته، يعني: أنه رد على الشيخ خطأً من نسخته المكتوبة التي يقرأ منها من حفظه وهو طفل صغير، فصحح له الأولى والثانية والثالثة، فسكت ثم قال: من هذا؟

قالوا: ابن إسماعيل، فقال: هو كما قال، واحفظوا أن هذا يصير يوماً رجلاً.

كيف كان بدو أمرك؟

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق: قلت للبخاري: كيف كان بدو أمرك قال: ألهمت حفظ الحديث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل. وخرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوماً فيما يقرأ على الناس: سفيان، عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل. فدخل ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم.

فأخذ القلم مني وأصلحه، وقال: صدقت. فقال للبخاري بعض أصحابه: ابن كم كنت قال: ابن إحدى عشر سنة.

فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء. ثم خرجت مع أبي وأخي أحمد إلى مكة. فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث. فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى. وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبي ﷺ في الليلي المقمرة. وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة. إلا أني كرهت تطويل الكتاب. وقال عمرو بن حفص الأشقر: كنا مع البخاري بالبصرة نكتب الحديث،

ففقدناه أياماً، ثم وجناه في بيت وهو عريان وقد نفذ ما عنده. فجمعنا له الدراهم وكسوناه. وقال عبد الرحمن بن محمد البخاري: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لقيت أكثر من ألف رجل،

أهل الحجاز، والعراق، والشام، ومصر، وخراسان، إلى أن قال: فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء: إن الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله.))([1])

فقال إسحاق: قويتني. وأفتى به. قال: وسمعت أبا عبد الله البخاري يقول: ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى نظرت في عامة كتب الرأي، وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها، فما تركت بها حديثاً صحيحاً إلا كتبته، إلا ما لم يظهر لي.

وسمعت بعض أصحابي يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فدخل محمد بن إسماعيل، فلما خرج قال محمد بن سلام: كلما دخل علي هذا الصبي تحيرت والتبس علي أمر الحديث، ول أزال خائفاً منه ما لم يخرج. ثناء الأئمة على البخاري) ([2])

أبو جعفر الطبري- رحمه الله-

ترجمته: محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان.

مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف.

❖❖❖❖❖

قل أن ترى العيون مثله.(٣)

---

[1] – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٩/ ٢٤٣)

[2] – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٩/ ٢٥٤)

[3] – سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧) طبقات الشيرازي: ٩٣، الأنساب: ٣٦٧ / أ، المنتظم. ٦ / ١٧٢ ١٧٠، معجم الأدباء ١٨ / ٩٤ ٤٠، إنباه الرواة: ٣ / ٩٠ ٨٩ تهذيب الأسماء واللغات: ١ / ٧٩ ٧٨، وفيات الأعيان ٤ / ١٩٢ ١٩١، مختصر طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي: الورقة ١٢٣ / ٢، تذكرة الحفاظ: ٢ / ٧١٦ ٧١٠، العبر: ٢ / ١٤٦، ميزان الاعتدال: ٣ / ٤٩٩ ٤٩٨، طبقات القراء للذهبي: ١ / ٢١٣ ٢١٢، دول الإسلام: ١ / ١٨٧، الوافي بالوفيات: ٢ / ٢٨٤ ٢٨٧، مرآة الجنان: ٢ / ٢٦٠، طبقات الشافعية للسبكي: ٣ / ١٢٨ ١٢٠، البداية

وقال أبو بكر ابن كامل: جئت إلى أبي جعفر قبل المغرب ومعي ابني أبو رفاعة وهو شديد العلة، فوجدت تحت مصلاه «كتاب فردوس الحكمة» لعلي بن ربن الطبري سماعا له، فمددت يدي لأنظره، فأخذه ودفعه إلى الجارية وقال لي: هذا [ابنك] ؟ فقال قلت: نعم، قال: ما اسمه؟ قلت: عبد الغني، قال: أغناه الله، وبأي شيء كنيته؟ قلت: بأبي رفاعة، قال: رفعه الله، أفلك غيره؟ قلت: نعم أصغر منه، قال: وما اسمه؟ قلت: عبد الوهاب أبو يعلى، قال: أعلاه الله، لقد اخترت الكنى والأسماء. ثم قال لي: كم لهذا سنة؟ قلت: تسع سنين، قال: لم لم تسمعه مني شيئا؟ قلت: كرهت صغره وقلة أدبه، فقال لي: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معي مخلاة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه، فقال له المعبر: إنه إن كبر نصح في دينه وذبّ عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير. ([4])

محمد بن إدريس الشافعي- رحمه الله-

ترجمته: الإمام الشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب، الامام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي، الغزي المولد، نسيب رسول الله ﷺ، وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبدالمطلب.

اتفق مولد الإمام بغزة، ومات أبوه إدريس شابا، فنشأ محمد يتيما في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة، فتحولت به إلى محتده وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وأقبل على الرمي، حتى فاق فيه الأقران، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية والشعر، فبرع في ذلك وتقدم.

ثم حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه. ([5])

---

[4] – معجم الأدباء (٥/ ٢٤٧)

[5] –سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥) التاريخ الكبير ١ / ٤٢، التاريخ الصغير ٢ / ٣٠٢، الجرح والتعديل ٧ / ٢٠١، حلية الأولياء ٩ / ٦٣ – ١٦١، الفهرست ٢٦٣، مناقب الشافعي للبيهقي، الانتقاء: ٦٥ – ١٢١، تاريخ بغداد ٢ / ٥٦ – ٧٣، طبقات الفقهاء للشيرازي: ٤٨ – ٥٠، طبقات الحنابلة ١ / ٢٨٠، ترتيب المدارك ٢ / ٣٨٢، الأنساب ٧ / ٢٥١ – ٢٥٤، تاريخ ابن عساكر ١٤ / ٣٩٥ – ٤١٨ و ١٥ / ١

عن ابن عبد الحكم قال: لما حملت والدة الشافعي به، رأت كأن المشتري خرج من فرجها، حتى انقض بمصر، ثم وقع في كل بلدة منه شظية، فتأوله المعبرون أنها تلد عالما، يخص علمه أهل مصر، ثم يتفرق في البلدان ([٦]).

لا يحل لي أن آخذ منك شيئاً.

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: كنت يتيماً في حجر أمي، فدفعتني إلى الكتاب، ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام - يعني: يسكتهم ونحو ذلك- فلما جمعت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء، وكنت أسمع الحديث والمسألة فأحفظها، فلم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به القراطيس، فكنت أنظر إلى عظم فآخذه، فأكتب في العظام، فإذا امتلأ طرحته في جرة، فاجتمع عندي حُبان.

والحب هو: وعاء الماء، وهو مثل الزير أو الجرة، أي: امتلأت الجرة من العظام التي كان يكتب عليها.

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت وأنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية، فأحفظها أنا، ولقد كان الصبيان يكتبون إملاءهم، فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم كنت قد حفظت جميع ما أملى، فقال لي ذات يوم: لا يحل لي أن آخذ منك شيئاً.

وقد كان طفلاً يتيماً بجانب هذه النجابة التي ظهرت عليه منذ صغره.

قال الشافعي: ثم لما خرجت من الكتاب كنت ألتقط الخزف والدفوف - جمع رق وهو: جلد رقيق يكتب فيه- وكرب النخل - وهو السعف العريض- وأكتاف الجمال، وأكتب فيها الحديث، وأجيء إلى الدواوين وأستوهب منها الظهور - أي: ظهور الأوراق المكتوبة؛ لأن ظهرها يكون فارغاً- فأكتب فيها، حتى كان لأمي حُبان مملأتها أكتافاً.

- ٢٥، صفة الصفوة ٢ / ٩٥، مناقب الشافعي للرازي، معجم الأدباء ١٧ / ٢٨١ - ٣٢٧، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٤٤ - ٦٧، وفيات الأعيان ٤ / ١٦٣ - ١٦٩، المختصر في أخبار البشر ٢ / ٢٨ - ٢٩

[٦] -سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠)الخبر في " تاريخ بغداد " ٢ / ٥٨، ٥٩.

قال زكريا الساجي: سمعت الزعفراني يقول: قدم علينا الشافعي واجتمعنا إليه فقال: التمسوا من يقرأ لكم. فلم يجترأ أحد يقرأ عليه غيري. وكنت أحدث القوم سناً، ما كان في وجهي شعرة وإني لأتعجب اليوم من انطلاق لساني بين يدي الشافعي، وأتعجب من جسارتي يومئذ. فقرأت عليه الكتب كلها إلا كتابين، فإنه قرأهما علينا: كتاب المناسك، وكتاب الصلاة. وقال أحمد بن محمد بن الجراح: سمعت الحسن الزعفراني يقول: لما قرأت كتاب الرسالة على الشافعي قال لي: من أي العرب أنت قلت: ما أنا بعربي، وما أنا إلا من قرية يقال لها الزعفرانية. قال: فأنت سيد هذه القرية. وكان الزعفراني فصيحاً بليغاً.)([٧])

قال الشافعي رحمه الله: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر.

قال الشافعي: مر بي رجل من بني عمي من الزبيريين، فقال: يا أبا عبد الله، عز علي ألا يكون مع هذه اللغة، وهذه الفصاحة، والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك، قال: فقلت: ومن بقي يقصد إليه؟ فقال لي: هذا مالك بن أنس، قال: فوقع في قلبي، فعمدت إلى " الموطأ " ، فاستعرته من رجل بمكة، فحفظته في تسع ليل ظاهراً، ثم دخلت إلى مالي مكة، فأخذت كتابه إلى والي المدينة، وإلى مالك بن أنس. قال: فقدمت المدينة، وأبلغت الكتاب إلى الوالي. فلما أن قرأه قال: والله يا فتى، أن أمشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فإني لست أرى الذل حتى أقف على بابه، فقلت: أصلح الله الأمير، إن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضر،

فقال: هيهات، ليتني إذا ركبت أنا معك، ومن معي، وأصابنا من تراب العقيق نلنا حاجتنا. قال: فواعدته العصر، وركبنا جميعاً، فوالله لقد كان كما قال. فتقدم رجل، فقرع الباب، فخرجت إلينا جارية سوداء،

فقال لها الأمير: قولي لمولاك: إني بالباب. فدخلت، فأبطأت، ثم خرجت

[٧] – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٩/ ١١٦)

فقالت: إن مولاي يقرئك السلام، ويقول: أن كانت مسألة فادفعها لي في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس، فانصرف.

فقال لها: قولي له: معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة.

قال: فدخلت ثم خرجت، وفي يدها كرسي فوضعته، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طوال مسنون اللحية. فجلس، فدفع الوالي الكتاب، فقرأه، حتى إذا بلغ إلى مكان: هذا رجل من أمره وحاله، فتحدثه، وتفعل، وتصنع، رمى بالكتاب من يده، ثم قال: يا سبحان الله، أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل؟!

قال: فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه. فتقدمت إليه، فقلت له: أصلحك الله، إني رجل مطلبي، ومن حالي، ومن قصتي. فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة، وكان لمالك فراسة، فقال لي: ما اسمك؟

فقلت: محمد، فقال لي: يا محمد، اتق الله، واجتنب المعاصي؛ فإنه سيكون لك شأن من الشأن،

ثم قال، نعم، وكرامة، إذا كان غداً تجيء، ويجيء من يقرأ لك الموطأ. قال: فقلت: إني أقوم بالقراءة. قال: فغدوت عليه، وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكاً وأريد أن أقطع القراءة أعجبه حسن قراءتي وإعرابي يقول لي: بالله يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن، وأقمت بها، وارتفع لي بها شأن الشأن. ([8])

الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله-

ترجمته: أحمد بن حنبل هو الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله ابن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام.

---

[8] – مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٤٢٤)

هكذا ساق نسبه ولده عبد الله، واعتمده أبو بكر الخطيب في " تاريخه " وغيره. ([٩])

وعن أحمد الدورقي، عن أبي عبد الله، قال: نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة لم نضبطه، فكيف يضبطه من كتبه من وجه واحد؟

! قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زرعة.

أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟

قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك.

وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك.

قال ابن أبي حاتم: قال سعيد بن عمرو: يا أبا زرعة، أأنت أحفظ، أم أحمد؟ قال: بل أحمد.

قلت: كيف علمت؟ قال: وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء أسماء الذين حدثوه.

فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه، وأنا لا أقدر على هذا. ([١٠])

إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه

حفظ الإمام أحمد بن حنبل القرآن في صباه، وتعلم القراءة والكتابة ثم اتجه إلى الديوان، يمرن على التحرير.

---

[٩] – سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٨)تاريخ الفسوي ١ / ٢١٢، الجرح والتعديل ١ / ٢٩٢ – ٣١٣ و ٢ / ٦٨، ٧٠، حلية الأولياء ٩ / ١٦١، ٢٣٣، الفهرست: ٢٨٥، تاريخ بغداد ٤ / ٤١٢، ٤٢٣، طبقات الحنابلة ١ / ٤، ٢٠، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١١٠، ١١٢، وفيات الأعيان ١ / ٦٣، ٦٥، تهذيب الكمال، ورقة: ٣٦، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣١، العبر ١ / ٤٣٥، تذهيب التهذيب ١ / ٢٢، الوافي بالوفيات ٦ / ٣٦٣، ٣٦٩، مرآة الجنان ٢ / ١٣٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢ / ٢٧، ٣٧، البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٥، ٣٤٣، غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١١٢، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٤، ٣٠٦، طبقات الحفاظ: ١٨٦،

[١٠] – سير أعلام النبلاء (١١/ ١٨٧)

يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن نفسه: كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب، ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة.

وكانت نشأة الإمام أحمد فيها آثار النبوغ والرشد، حتى قال بعض الآباء: أنا أنفق على ولدي، وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، وجعل يعجب من أدبه وحسن طريقته.

وكان عم الإمام أحمد يرسل إلى بعض الولاة بأحوال بغداد ليعلم بها الخليفة، وفي مرة أرسلها مع ابن أخيه أحمد بن حنبل فتورع عن ذلك، ورمى بها في الماء، تأثماً من الوشاية، والتسبب لما عسى أن يكون فيه ضرر لمسلم.

أي: ولفت هذا الورع وهذه النجابة نظر كثير من أهل العلم والفراسات، حتى قال الهيثم بن جميل: إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه.

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية- رحمه الله-

ترجمته: الشيخ الإمام العلامة المفتي المفسر الخطيب البارع عالم حران وخطيبها وواعظها، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني الحنبلي صاحب الديوان الخطب والتفسير الكبير.

ولد في شعبان سنة اثنتين وأربعين بحران، وتفقه على أحمد بن أبي الوفاء، وحامد بن أبي الحجر، وتفقه ببغداد على ناصح الإسلام ابن المني، وأحمد بن بكروس، وبرع في المذهب، وساد، وأخذ العربية عن أبي محمد ابن الخشاب، وسمع الحديث من أبي الفتح بن البطي، ويحيى ابن ثابت، وأبي بكر بن النقور، وسعد الله ابن الدجاجي، وجعفر ابن الدامغاني، وشهدة، وجماعة.

وصنف مختصرا في المذهب، وله النظم والنثر.

قيل: إن جده حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة فلما رجع، وجد امرأته قد ولدت له بنتا، فقال: يا تيمية ! يا تيمية ! فلقب بذلك.

وأما ابن النجار فقال: ذكر لنا أن جده محمدا كانت أمة تسمى تيمية، وكانت واعظة.([11])

إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم

قال الحافظ ابن قدامة رحمه الله: بلغني أن بعض مشايخ حلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت أن في هذه البلاد صبياً يقال له: أحمد بن تيمية، سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كُتّابه - يعني: أنه يمر إلى الكُتّاب من هذه الطريق- وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عندنا الساعة يمر ذاهباً إلى الكُتّاب، فلما مر قيل: ها هو الذي معه اللوح الكبير، فناداه الشيخ، وأخذ منه اللوح، وكتب له من متون الأحاديث ثلاثة عشر حديثاً

وقال له: اقرأها، فلم يزد على أن نظر فيه مرة بعد كتابته إياه، ثم قال: أسمعه علي، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما يكون، ثم كتب عدة أسانيد انتقاها، فنظر فيه كما فعل أول مرة فحفظها.

فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم ير مثله.

فكان كما قال رحمه الله تعالى.

❖❖❖❖

الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي - رحمه الله-

ترجمته: يحيى بْن شرف بْن مُرّي بْن حسن بْن حُسَيْن، مفتي الأمَّة، شيخ الإِسْلَام، محيي الدّين، أبو زكريّا النّواويّ، الحافظ الفقيه الشّافعيّ الزّاهد، [المتوفى: ٦٧٦ هـ]

أحد الأعلام.

وُلِدَ فِي العَشْر الأوسط من المحرَّم سنة إحدى وثلاثين بنَوى، وجدّهم حسين هُوَ حُسَيْن بْن مُحَمَّد بْن جُمعة بن حزام الحزامي؛ بحاء مهملة وزاي.

---

[11] – سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٨٩)وفيات الاعيان لابن خلكان: ٤ / ٣٨٦ – ٣٨٨، وتلخيص ابن الفوطي: ٤ / الترجمة ٢٣٥٠، وتاريخ الاسلام، الورقة ٢٥ – ٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢)، ودول الاسلام: ٢ / ٩٦، والعبر: ٥ / ٩٢، والوافي بالوفيات: ٣ / ٣٧ – ٣٨، والبداية والنهاية: ١٣ / ١٠٩، والذيل لابن رجب: ٢ / ١٥١ – ١٦٢، والنجوم الزاهرة: ٦ / ٣٦٢ – ٣٦٣، وتاريخ ابن الفرات، ١ / الورقة ٦٥، وطبقات المفسرين للسيوطي: ٣٢، وشذرات الذهب: ٥ / ١٠٢، ١٠٣، والتاج المكلل للقنوجي: ١٢٤ – ١٢٩.

نزل حزام بالجولان، بقرية نَوَى على عادة العرب، فأقام بها ورزقه اللّه ذُرِّيَّة إِلَى أن صار منهم عددٌ كثير.

قَالَ الشَّيْخ محيي الدّين: كان بعض أجدادي يزعم أنّها نسبة إِلَى حزام والد حكيم بْن حِزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، وهو غلط.

والنَّووي بحذْف الألِف، ويجوز إثباتها.

هَذَا يُرجى أن يكون أعلم أَهْل زمانه وأزهدهم.

حكى والده لشيخنا أبي الحسن ابن العطّار أن الشَّيْخ كان نائمًا إِلَى جنبه وهو ابن سبْع سنين ليلة السابع والعشرين من رمضان، قَالَ: فانتبه نحو نصف اللّيل وأيقظني، وقال: يا أَبَه، ما هَذَا الضوء الذي قد ملأ الدار؟

فاستيقظ أهله كلهم، فلم نر كلنا شيئًا، فعرفت أنّها ليلة القدر

. وقال ابن العطّار: ذكر لي الشَّيْخ ياسين بْن يوسف المُرّاكِشيّ رحمه اللّه قَالَ: رَأَيْت الشَّيْخ محيي الدّين وهو ابن عشر بنَوَى والصّبيان يُكرهونه على اللّعب معهم، وهو يهرب ويبكي، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع فِي قلبي محبّتُه. وجعله أَبُوهُ فِي دُكّانٍ بالقرية، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فوصَّيْت الَّذِي يُقرِئه وقلت: هَذَا يُرجى أن يكون أعلم أَهْل زمانه وأزهدهم. فقال لي: أمنجم أنت؟ قلت: لا، وإنما أنطقني اللّه بِذَلِك. فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم، وقد ناهَزَ الاحتلام.

قَالَ ابن العطّار: قَالَ لي الشَّيْخ: فَلَمَّا كان لي تسع عشرة سنة قدِم بي والدي إِلَى دمشق فِي سنة تسع وأربعين فسكنتُ المدرسة الرّواحية، وبقيتُ نحو سنتين لم أضع جنْبي إِلَى الأرض. وكان قوتي فيها جراية المدرسة لا غير، وحفظت " التّنبيه " فِي نحو أربعة أشهر ونصف.

قَالَ: وبقيت أكثر من شهرين أو أقلّ لّما قرأت: يجب الغُسْل من إيلاج الحشفة فِي الفَرْج، أعتقد أنّ ذلك قرقرة البطن، وكنت أستحمّ بالماء البارد كلّما قرقر بطني.

قَالَ: وقرأت حِفْظًا رُبع " المهذَّب " فِي باقي السنّة، وجعلت أشرح وأصحِّح علي شيخنا كمال الدّين إِسْحَاق بْن أَحْمَد المغربيّ، ولازَمْتُه فأُعجِب بي وأحبّني، وجعلني أُعيد لأكثر جماعته. فَلَمَّا كَانَتْ سنة إحدى وخمسين حججتُ مع والدي، وكانت وقْفَة جُمعة، وكان رحيلنا من أوّل رجب، فأقَمْنا بالمدينة نحوًا من شهر ونصف. فذكر والده قَالَ: لمّا توجهنا من نَوَى أَخَذَتْه الحُمّى، فلم تفارقْه إِلَى يوم عرفة، ولم يتأوَّه قَطّ، ثُمَّ قدِم ولازَم شيخه كمال الدّين إِسْحَاق.

قَالَ: وذكر لي الشَّيْخ أنّه كان يقرأ كلّ يوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحًا وتصحيحًا؛ درسين فِي " الوسيط "، ودرسا فِي " المهذّب "، ودرسًا فِي " الجمع بين الصحيحين "، ودرسًا فِي " صحيح مُسْلِم "، ودرسًا فِي " اللُّمَع " لابن جَنّيّ، ودرسًا فِي " إصلاح المنطق " لابن السِّكّيت، ودرسًا فِي " التّصريف "، ودرسًا فِي أصول الفِقْه - تارةً فِي " اللُّمَع " لأبي إِسْحَاق، وتارة فِي " المنتخب " لفخر الدّين - ودرسًا فِي أسماء الرجال، ودرسًا فِي أصول الدّين. وكنتُ أعلِّق جميع ما يتعلَّق بها من شرح مُشْكل، ووضوح عبارة، وظبط لُغة، وباركَ اللّه لي فِي وقتي. وخطر لي الاشتغال بعِلم الطّبّ، فاشتريت كتاب " القانون " فِيهِ، وعزمتُ على الاشتغال فِيهِ، فأظلم عليَّ قلبي، وبقيت أيّامًا لا أقدر على الاشتغال بشيء، ففكّرت فِي أمري ومِن أَيْنَ دخل عليَّ الدّاخل، فألهمني اللّه أنّ سببه اشتغالي بالطّبّ، فبعت " القانون " فِي الحال، واستنار قلبي.

وقال: كنت مريضًا بالرّواحيّة، فبينا أَنَا فِي ليلة فِي الصّفّة الشّرقيّة منها وأبي وإخوتي نائمون إِلَى جنْبي، إذ نشّطني اللّه وعافاني من ألمي، فاشتاقت نفسي إِلَى الذِّكْر، فجعلت أُسبِّح، فبينا أَنَا كذلك بين السّرّ والجهر إذا شيخ حَسَن الصورة جميل المنظر يتوضأ على البِرْكة فِي جوف اللّيل، فَلَمَّا فرغ أتاني قال: يا ولدي، لا تذكُر اللّه تُشوِّش على والدك وإخوتك وأهل المدرسة. فقلت: من أنت؟

قَالَ: أَنَا ناصحٌ لك، ودعني أكون مَن كنت. فوقع فِي نفسي أنّه إبليس، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ورفعتُ صوتي بالتسبيح، فأعرض ومشى إِلَى ناحية باب المدرسة، فانتبه والدي والجماعة على صوتي، فقمت إِلَى باب المدرسة فوجدته مقفلًا، وفتشتها فلم أجد فيها أحدًا غير أهلها.

فقال لي أبي: يا يحيى، ما خَبَرُك؟

فأخبرته الخبر، فجعلوا يتعجبون، وقعدنا كلّنا نسبِّح ونذكر. ([12])

أبو الحسين أحمد بن محمد النوري- رحمه الله-

ترجمته: النوري وهو أحمد بن محمد الخراساني البغوي الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق، وله عبارات دقيقة، يتعلق بها من انحرف من الصوفية، نسأل الله العفو.

صحب السري السقطي وغيره، وكان الجنيد يعظمه، لكنه في الآخر رق له وعذره لما فسد دماغه.)([13])

قال الخلدي: رأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟

فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار. ([14])

أريد أن أعرف الله تعالى

قال أيضاً: بلغني أن أبا الحسين أحمد بن محمد النوري المدعو بالنوري لما قرأ القرآن الكريم ألزمه أبوه أن يدخل معه في حانوته، فكان إذا أصبح أخذ أورقاً ودواة - أي: حبراً وقلماً- وذهب يسأل عما جهل من كتاب الله تعالى، ويكتب ما يقال له، ثم يأتي أباه، وإذا بعثه في حاجة أخذ ألواحه ودواته، فيسأل من مر به من أهل العلم، فإذا غاب يزجره أبوه لغيبته، ويتهدده، وربما ضربه على ذلك أحياناً، وذكر الغزالي فقال له أبوه: ليت شعري - يعني: ليتني أعلم- يا بني! ما تريد بعلمك هذا؟

قال: أريد أن أعرف الله تعالى وأتعرف إليه، قال: كيف تعرفه؟

---

[12] – تاريخ الإسلام ت بشار (١٥/ ٣٢٤).

[13] – سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧٠) طبقات الصوفية: ١٦٩ ١٦٤، حلية الأولياء: ١٠ / ٢٥٥ ٢٤٩، تاريخ بغداد: ٥ / ١٣٦ ١٣٠، الرسالة القشيرية: ٢٠ الأنساب: ٥٧٠ / ب، صفة الصفوة: ٢ / ٤٤٠ ٤٣٩، المنتظم: ٦ / ٧٧، البداية والنهاية: ١١ / ١٠٦، طبقات الأولياء: ٧٠ ٦٢، النجوم الزاهرة: ٣ / ١٦٣.

[14] – سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧٦)

قال: أعرفه بتفهم أمره ونهيه، قال: وكيف تتعرف إليه؟

قال: أتعرف إليه بالعمل بما علمني، قال أبوه: يا بني! لا أعرض لك في أمرك هذا ما بقيت.

أبو يوسف القاضي- رحمه الله-

ترجمته: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه " الرأي " وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من دعي " قاضي القضاة " ويقال له: قاضي قضاة الدنيا !، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة.

وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. من كتبه " الخراج - ط " و " الآثار - ط " وهو مسند أبي حنيفة، و " النوادر " و " اختلاف الأمصار " و " أدب القاضي " و " الامالي في الفقه " و " الرد على مالك ابن أنس " و " الفرائض " و " الوصايا " و " الوكالة " و " البيوع " و " الصيد والذبائح " و " الغصب والاستبراء " و " الجوامع " في أربعين فصلا، ألفه ليحيى بن خالد البرمكي، ذكر فيه اختلاف الناس والرأي المأخوذ به. قلت: وللمعاصر محمد زاهد الكوثري " حسن التقاضي، في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي - ط " ([١٥]).

لعمري إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا

قال علي بن الجعد : أخبرني أبو يوسف القاضي قال: توفي أبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصار أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة ، فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعتني بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة : ما لهذا الصبي مفسد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من

---

[١٥] – الأعلام للزركلي (٨/ ١٩٣) مفتاح السعادة ٢: ١٠٠ –١٠٧ وابن النديم ٢٠٣ وأخبار القضاة، لوكيع ٣: ٢٥٤ والنجوم الزاهرة ٢: ١٠٧ والبداية والنهاية ١٠: ١٨٠ والجواهر المضية ٢: ٢٢٠ وتاريخ بغداد ١٤: ٢٤٢ وابن خلكان ٢: ٣٠٣ والانتقاء ١٧٢ ومرآة الجنان ١: ٣٨٢ –٣٨٨).

مغزلي، وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة : مري يا رعناء! هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق.

فانصرفت عنه وقالت له: أنت شيخ قد خرفت، وذهب عقلك.

قال أبو يوسف: ثم لزمت أبا حنيفة، وكان يتعاهدني بماله، فما ترك لي خلة - يعني: حاجة- فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس هارون الرشيد، وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون الرشيد فالوذج، فقال لي هارون: يا يعقوب ! كل منه، فليس يعمل لنا مثله كل يوم، فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين!

فقال: هذا فالوذج بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مما ضحكت؟

قلت: خيراً أبقى الله أمير المؤمنين! قال: لتخبرني، وألح علي، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك!

وقال: لعمري إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا، وترحم على أب

الحافظ الأصفهاني- رحمه الله-

اسمعوا له، والعهدة علي

أبو محمد عبد الله بن محمد الأصفهاني: حفظت القرآن ولي خمس سنين، وحملت إلى أبي بكر المقرئ لأسمع ولي أربع سنين.

فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قرأ، فإنه صغير، فقال لي ابن المقرئ: اقرأ سورة (التكوير) فقرأتها.

فقال لي غيره: اقرأ سورة (المرسلات) فقرأتها، ولم أغلط فيها.

فقال ابن المقرئ: اسمعوا له، والعهدة علي (١).

الحافظ ابن حجر – رحمه الله -

ترجمته: ابن حجر أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد بن العسقلاني المصري الشافعي الإمام العلامة الحافظ فريد الوقت مفخر الزمان بقية الحافظ علم الأئمة الأعلام عمدة المحققين خاتمة الحفاظ المبرزين والقضاة المشهورين أبو الفضل شهاب الدين:

ولد في مصر ثالث عشر من شعبان المكرم سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة،

مات عنه والده وهو طفل في شهر رجب سنة سبع وسبعين فأدخل الكتاب بعد إكمال خمس سنين

سرعة حفظه وذكاؤه

وكان لديه ذكاء وسرعة حافظة بحيث إنه حفظ سورة مريم في يوم واحد وكان يحفظ الصحيفة من الحاوي الصغير من مرتين الأولى تصحيحا والثانية قراءة في نفسه ثم يعرضها حفظا في الثالثة، وحج في أواخر سنة أربع وثمانين وجاور بمكة في السنة التي بعدها وهي سنة خمس فسمع بها اتفاقا على العفيف الشوري صحيح البخاري ([16])

❖❖❖❖

الشيخ أبي الوقت- رحمه الله-

أبو الوقت ❖ ❖ الشيخ الإمام الزاهد الخير الصوفي، شيخ الإسلام، مسند الآفاق، أبو الوقت، عبد الأول بن الشيخ المحدث المعمر أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق، السجزي، ثم الهروي الماليني.

مولده في سنة ثمان وخمسين وأربع مئة.([17])

معاذ الله أن نركب في طلب الحديث

---

[16] – تذكرة الحفاظ وذيوله (٥/ ٢٨٢) تاريخ بغداد: ١١ / ١٣٦ –١٣٨، تاريخ ابن عساكر: ١٠ / ٢٠٣ آ –٢٠٣ ب، المنتظم: ٦ / ٣٢٨، العبر: ٢ / ٢٢٢، شذرات الذهب: ٢ / ٣٢٧.

[17] – سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣٠٣) الأنساب ٧ / ٤٧، المنتظم ١٠ / ١٨٢، ١٨٣، الاستدراك لابن نقطة: باب السجزي والشجري. الكامل في التاريخ ١١ / ٢٣٩، اللباب ٢ / ١٠٥، وفيات الأعيان ٣ / ٢٢٦، ٢٢٧، دول الإسلام ٢ / ٧٠، العبر ٤ / ١٥١، ١٥٢، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣١٥، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ١٥٠ –١٥٢،

قال يوسف بن أحمد الشيرازي في " أربعين البلدان " له : لما رحلت إلى شيخنا رحلة الدنيا ومسند العصر أبي الوقت ، قدر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان ، فسلمت عليه ، وقبلته ، وجلست بين يديه ، فقال لي : ما أقدمك هذه البلاد؟ قلت : كان قصدي إليك ، ومعولي بعد الله عليك ، وقد كتبت ما وقع إلي من حديثك بقلمي ، وسعيت إليك بقدمي ، لادرك بركة أنفاسك ، وأحظى بعلو إسنادك.

فقال : وفقك الله وإيانا لمرضاته ، وجعل سعينا له ، وقصدنا إليه ، لو كنت عرفتني حق معرفتي ، لما سلمت علي ، ولا جلست بين يدي ، ثم بكى بكاء طويلا ، وأبكى من حضره ، ثم قال : اللهم استرنا بسترك الجميل ، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا ، يا ولدي ، تعلم أني رحلت أيضا لسماع " الصحيح " ماشيا مع والدي من هراة إلى الداوودي ببوشنج ولي دون عشر سنين ، فكان والدي يضع على يدي حجرين ، ويقول : احملهما.

فكنت من خوفه أحفظهما بيدي ، وأمشي وهو يتأملني ، فإذا رآني قد عييت أمرني أن ألقي حجرا واحدا ، فألقي ، ويخف

عني ، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي ، فيقول لي : هل عييت؟ فأخافه ، وأقول : لا.

فيقول : لم تقصر في المشي ؟ فأسرع بين يديه ساعة ، ثم أعجز ، فيأخذ الآخر ، فيلقيه ، فأمشي حتى أعطب ، فحينئذ كان يأخذني ويحملني ، وكنا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم ، فيقولون : يا شيخ عيسى ، ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج ، فيقول : معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله ﷺ ، بل نمشي ، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالا لحديث رسول الله ورجاء ثوابه.

فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره ، ولم يبق من أقراني أحد سواي ، حتى صارت الوفود ترحل إلي من الأمصار.([18])

الكندي – رحمه الله-

[18] – سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣٠٨) تاريخ الإسلام ت بشار (١٢/ ٦٨)

العلامة تاج الدين الكندي أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن البغدادي النحوي اللغوي المقرئ شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام ومسند العصر ولد سنة عشرين وخمسمائة وأكمل القراءات العشر وله عشرة أعوام وهذا ما لا أعمله تهيأ لأحد سواه ([19])

ابن تيمية الجد- رحمه الله-

قال أبو محمد بن تيمية أن جده ربّي بتيماء، وأنه سافر مع ابن عمه إلى العراق ليخدمه ويشتغل وله ثلاث عشرة سنة، فكان يبيت عنده فيسمعه يكرر على مسائل الخلاف فيحفظ المسألة. فقال الفخر إسماعيل: أيْش حفظ هذا التنين، يعني الصبي، فبدر وقال: حفظت يا سيدي الدرس. وعرضه في الحال. فبُهِتَ منه الفخر وقال لابن عمه: هذا يجيء منه شيء، وحرضه على الاشتغال. فشيخه في الخلاف الفخر إسماعيل.

وعرض عليه مصنفه ' جنة الناظر '.

وكتب له عليه في سنة ست ([20])

الدار قطني- رحمه الله-

ترجمته: الدارقطني الإمام الحافظ المجود، شيخ الإسلام، علم الجهابذة، أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي المقرئ المحدث، من أهل محلة دار القطن ببغداد.

ولد سنة وثلاث مئة، هو أخبر بذلك. ([21])

ما رأى الدارقطنى مثل نفسه

---

[19] – الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٣٧٠) العبر في خبر من غبر (٣/ ١٥٩) شذرات الذهب (٥/ ٥٥) منادمة الأطلال (ص: ١٥٧) العلامة عبد القادر بدران

[20] – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٤٨/ ١٢٩)

[21] – سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٩) تاريخ بغداد: ١٢ / ٣٤ –٤٠، الأنساب: ٥ / ٢٤٥ –٢٤٧، المنتظم: ٧ / ١٨٣).

قال أبو بكر بن ثابت قال حدثني الأزهري قال بلغني أن الدارقطني حضر في حداثته مجلس إسماعيل الصفار فجعل ينسخ جزءا كان معه وإسماعيل يملى فقال له بعض الحاضرين لا يصح سماعك وأنت تنسخ.

فقال الدارقطنى فهمي للأملاء خلاف فهمك ثم قال تحفظ كم أملي الشيخ من حديث إلى الأن قال لا فقال الدارقطنى أملي ثمانية عشر حديثا فعددت الأحاديث فوجدت كما قال ثم قال أبو الحسن الحديث الأول منها عن فلان عن فلان ومتنه كذا والحديث الثاني عن فلان عن فلان ومتنه كذا ولم يزل يذكر أسانيد الأحاديث ومتونها على ترتيبها في الإملاء حتى أتى على آخرها فتعجب الناس منه.

قال المصنف رحمه الله وقد كان الحاكم أبو عبد الله يقول ما رأى الدارقطنى مثل نفسه([٢٢])

غاية في الحظ

❖قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: رأيت صبيا ابن أربع سنين، قد حمل إلى المأمون، قد قرأ القرآن، ونظر في الرأي، غير أنه إذا جاع يبكي ([٢٣])!!

❖❖❖❖

سعيد بن حميد بن سعيد- رحمه الله-

ترجمته: سعيد بن حميد بن سعيد، أبو عثمان: كاتب مترسل، من الشعراء. أصله من النهروان الأوسط، من أبناء الدهاقين.

ومولده ببغداد، ثم كان يتنقل في السكنى بينها وبين سامراء. وقلده المستعين العباسي ديوان رسائله. أكثر أخباره مناقضات له مع فضل الشاعرة. وشعره رقيق، كان ينحو فيه منحى ابن أبي ربيعة وأضرابه وجمع معاصرنا يونس بن أحمد السامرائي البغدادي، ما وجد من (رسائله وأشعاره - ط) ([٢٤]).

فاتتنا هذه الأرجوزة

---

[٢٢] – المنتظم (٧/ ١٨٣).

[٢٣] – نجابة الأطفال ص (٦٩–٧٠).

[٢٤] – الأعلام للزركلي (٣/ ٩٤) الأغاني ١٧: ٢ –٨. والمورد ٣: ٢: ٢٢٨.

ذكر محمد بن موسى أن أبا يوسف بن الدقاق اللغوي أخبره أن حميد بن سعيد بن حميد دفع إليه ابنه سعيدا وهو صبي فقال له امض به معك إلى مجلس ابن الأعرابي قال فحضرناه ذات يوم فأنشدنا أرجوزه لبعض العرب فاستحسنتها ولم تكن معنا محبرة نكتبها منها فلما انصرفنا قلت له فاتتنا هذه الأرجوزة فقال لم تفتك أتحب أن أنشدكها قلت نعم فأنشدنيها وهي نيف وعشرون بيتا قد حفظها عنه وإنما سمعها مرة واحدة فلقيت أباه من غد فقال لي كيف رأيت سعيدا قلت له إنك أوصيتني به وأنا أسألك الآن أن توصيه بي فضحك وسألني عن الخبر فأعلمته فسر به)([٢٥])

أبو الطيب المتنبئ- رحمه الله-

ترجمته: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين.

ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته.

ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس.

وقال الشعر صبيا.

وتنبأ في بادية السماوة (بين الكوفة والشام) فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ (أمير حمص ونائب الإخشيد) فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه. ووفد على سيد الدولة ابن حمدان (صاحب حلب) سنة ٣٣٧هـ فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي وطلب منه أن يوليه، فلم يوله كافور، فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه. ([٢٦])

ما رأيت قط أحفظ من هذا الغلام

قال أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي: كان المتنبي وهو صبي ينزل في جوارنا بالكوفة، وكان أبوه يعرف بعيدان السقاء، يستقي على جمل له ولأهل المحلة. ونشأ له المتنبي، فكان يتبع أهل العلم والأدب ويلازم الوراقين، وكان ذكياً حسن الذكاء.

فقال لي وراق كان يجلس إليه: ما رأيت قط أحفظ من هذا الغلام ابن عيدان؛ فقلت له: كيف ذاك؟ قال: كان جالساً عندي اليوم، وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي ليبيعه يكون نحو ثلاثين ورقةً، فأخذه فنظر فيه طويلاً، فقال له الرجل: أريد بيع هذا الدفتر، وقد قطعتني عن

---

[٢٥] – الأغاني (١٨/ ١٦٠).

[٢٦] – الأعلام للزركلي (١/ ١١٥) ابن خلكان ١: ٣٦ ومعاهد التنصيص ١: ٢٧ وابن الوردي ١: ٢٩٠ وابن الشحنة: حوداث سنة ٣٥٤ هـ ولسان الميزان ١: ١٥٩ وفيه: (كان إذا ذكر له حادث تنبؤه يستنكره ويقول: ذلك شيء كان في الحداثة! وإذا سئل عن معنى المتنبي يقول: هو لقب من الألقاب) وفيه: (كان والده يلقب عيدان –بفتح فسكون). وتاريخ بغداد ٤: ١٠٢ والمنتظم ٧: ٢٤ والمستشرق بلاشير.

ذلك، فإن كنت تريد حفظه فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر؛ فقال له ابن عيدان: فإن كان قد حفظته في هذه المدة فما لي عليك؟

قال: إن كنت حفظته فهو لك؛ فأخذت الدفتر من يده، وأخذ يتلوه إلى آخره، ثم استلبه من يدي فجعله في كمه، وقام. فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن، فقال: ما إلى ذلك سبيل، قد وهبته لي، فمنعناه منه وقلنا له: أنت شرطت على نفسك هذا. ([٢٧])

الخليفة المأمون- رحمه الله-

ترجمته " المأمون الخليفة، أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي.

ولد سنة سبعين ومئة.

وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ، وعمل الرصد فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ - نسأل الله السلامة- .([٢٨])

روى محمد بن عون، عن ابن عيينة، أن المأمون جلس، فجاءته امرأة، فقالت: مات أخي، وخلف ست مئة دينار، فأعطوني دينارا واحدا، وقالوا: هذا ميراثك.

فحسب المأمون، وقال: هذا خلف أربع بنات.

قالت نعم.

قال: لهن أربع مئة دينارا.

قالت: نعم.

قال: وخلف أما فلها مئة دينار، وزوجة لها خمسة وسبعون دينارا.

بالله ألك اثنا عشر أخا؟

قالت: نعم.

---

[٢٧] – التذكرة الحمدونية (٣/ ١٦١)

[٢٨] –

قال: لكل واحد ديناران، ولك دينار ([٢٩]).

سرعة حفظه

عن محمد بن المنذر الكندي جار لعبد الله بن إدريس، قال: حج الرشيد، فدخل الكوفة، فلم يتخلف إلا ابن إدريس وعيسى بن يونس، فبعث إليهما الأمين والمأمون، فحدثهما ابن إدريس بمئة حديث، فقال المأمون: يا عم أتأذن لي أن أعيدها حفظا؟

قال: افعل.

فأعادها، فعجب من حفظه ([٣٠]).

الباب الرابع: صور مشرقة عبادة الأطفال

في هذا الباب نقف مع صور مشرقة من عبادة الأطفال الذين لم تجر عليهم الأقلام وسترى أخي الحبيب عباد ليل إذا جن الظلام عليهم، و سنقف على الخوف من الله و التوكل عليه و غير ذلك من مقامات الدين.....

ليلة مع رسول الله- صلى الله – عليه وسلم-

عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما-

عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – يبيت ليلة مع رسول الله –ﷺ- لينهل من معينه الصافي و يتعلم كيف كان ليل المصطفى – ﷺ-

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: « بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ فَأَتَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ. ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، وَلَمْ

---

[٢٩] – سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٧)

[٣٠] – سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٦)

يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ. ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَنْتَبِهُ لَهُ فَتَوَضَّأْتُ. فَقَامَ فَصَلَّى فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ - وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ - ، فَأَتَاهُ بِلَالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ فَقَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا. وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا. وَعَظِّمْ لِي نُورًا. قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبْعًا فِي التَّابُوتِ، فَلَقِيتُ بَعْضَ وَلَدِ الْعَبَّاسِ فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ فَذَكَرَ عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشَرِي وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ ». (٣١)

محبهم لرسول الله – ﷺ-

إن من أجل العبادات محبة النبي – ﷺ- و لقد كانوا يتبركون به في حياته بشعره و بصاقه و وضوئه – ﷺ- و في هذا المشهد نقف مع سهل بن سعد – رضي الله عنه- و هو غلام جالس في مجلس رسول الله ﷺ - و كان يجلس بجواره و عن يمينه و عن يسار النبي المختار يجلس الأشياخ فماذا حدث تعال لنرى هذا المشهد:

عن أبي حازم بن دينار، عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء»؟

فقال الغلام: لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا قال: فتله في يده رسول الله ﷺ (٣٢)

أي: أنا أريد أن أشرب بعدك يا رسول الله! شفتاي تأتي في موطن شفتيك يا رسول الله، ويصر الطفل فيجيبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى طلبه ويسقيه.

وهكذا يعتاد الطفل الجرأة الأدبية، وينشأ بعيداً عن الانهزامية، وفيه قوة رأي وحجة.

فأين الله؟!

---

٣١ – أخرجه مالك "الموطأ" ٩٥ ، و"أحمد" ١/٢٤٢(٢١٦٤) و١/٣٥٨(٣٣٧٢). و"البخاري" ١/٥٧(١٨٣) و"مسلم" ٢/١٧٩ (١٧٣٩)

٣٢ – أخرجه مالك "الموطأ" ٥٧٧، وأحمد ٥/٣٣٣(٢٣٢١٢) و"البخاري" ٣/١٤٤(٢٣٥١). و"مسلم" ٦/١١٣(٥٣٤٥).

مر عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما- على غلام يرعى أغناما لسيده، فأراد ابن عمر أن يختبر الغلام، فقال له: بع لي شاة. فقال الصبي: إنها ليست لي، ولكنها ملك لسيدي، وأنا عبد مملوك له. فقال ابن عمر: إننا بموضع لا يرانا فيه سيدك، فبعني واحدة منها، وقل لسيدك: أكلها الذئب. فاستشعر الصبي مراقبة الله، وصاح: إذا كان سيدي لا يرانا، فأين الله؟! فسر منه عبد الله بن عمر، ثم ذهب إلى سيده، فاشتراه منه وأعتقه.)([٣٣])

هذا المشهد ثمرة من ثمرات المراقبة والخوف من الله تعالى، **قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين:**

ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة المراقبة

قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]] وقال تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤] وقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] إلى غير ذلك من الآيات وفي حديث جبريل عليه السلام: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال له: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.)([٣٤])

فسح لي في قبره و ملئ نورا

قال أبو غالب كنت أختلف إلى أبي أمامة بالشام فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده عم له وهو يقول له: يا عدو الله ألم آمرك؟ ألم أنهك؟

فقال الصبي: يا عماه لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي كيف كانت صانعة بي؟

قال: كانت تدخلك الجنة.

---

[٣٣] – صفة الصفوة (٢/ ١٨٨).

[٣٤] – مدارج السالكين (٢/ ٦٥)

قال: إن ربي الله أشفق من والدتي و أرحم بي منها و قبض الفتى من ساعته فلما جهزه عمه و صلى عليه و أراد أن يضعه في لحده فدخلت القبر مع عمه فلما سواه صاح و فزع فقلت له : ما شأنك ؟

قال: فسح لي في قبره و ملئ نورا فدهشت منه ([٣٥])

أبو عبد الله بن الجلاء

ترجمته: ابن الجلاء القدوة العارف، شيخ الشام، أبو عبد الله ابن الجلاء، أحمد بن يحيى، وقيل: محمد بن يحيى.

يقال: أصله بغدادي، صحب والده، وأبا تراب النخشبي، وذا النون المصري وحكى عنه.

وكان عالماً ورعاً.

صحب أباه وأبا تراب وذا النون وغيرهم، وهو أستاذ محمد بن داود الدقي. وكان مذهبه في سفره التوكل والتجريد.

ومن كلامه: " من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو موحد ".

قال لأبيه وأمه: " أحب أن تهباني لله! " ففعلا.

قال: " فغبت عنهما مدة، ثم رجعت في ليلة ممطرة، فدققت الباب، فقالا: " من؟

" قلت: " ولدكما! " قالا: " كان لنا ولد، فوهبناه لله، ونحن من العرب، لا نرجع فيما وهبنا ".

وما فتحا له.

وكان إذا سئل عن المحبة قال: " مالي ولها!، أنا أريد أن أتعلمها ".

---

[٣٥] – التذكرة للقرطبي (ص: ٤١٢)

وسئل عن الفقر، فسكت، ثم ذهب ورجع عن قرب، ثم قال: " كان عندي أربعة دوانق، فاستحييت من الله أن أتكلم في الفقر وهي عندي فذهبت فأخرجتها ". ثم قعد وتكلم فيه.)([٣٦])

التوكل على الله

مُحَمَّد بْن عَلِي بْن الْحُسَيْن الْمُقْرِي بطرسوس يَقُول: سمعت أبا عَبْد اللَّهِ بْن الجلاء يَقُول: اشتهت والدتي عَلَى والدي يوما من الأيام سمكا، فمضى والدي إِلَى السوق وأنا مَعَهُ فاشترى سمكا ووقف ينتظر من يحمله فرأى صبيا وقف بحذائه مَعَ صبي، فَقَالَ: عم تريد من يحمله؟

فَقَالَ: نعم، فحمله ومشى معنا فسمعنا الأذان.

فَقَالَ: الصَّبِي أذن المؤذن وأحتاج أَن أتطهر وأصلي فَإِن رضيت وإلا فاحمل السمك ووضع الصَّبِي السمك ومر.

فَقَالَ: أَبِي فنحن أَن نتوكل فِي السمك فدخلنا الْمَسْجِد فصلينا وجاء الصَّبِي وصلى فلما خرجنا فَإِذَا بالسمك موضوع مكانه فحمله الصَّبِي ومضى معنا إِلَى دارنا فذكر والدي ذَلِكَ لوالدتي فَقَالَتْ قل لَهُ حَتَّى يقيم عندنا ويأكل معنا فقلنا لَهُ.

فَقَالَ: إني صائم فقلنا فتعود إلينا بالعشى.

فَقَالَ: إِذَا حملت مرة فِي اليوم لا أحمل ثانيا ولكني سأدخل الْمَسْجِد إِلَى المساء ثُمَّ أدخل عليكم فمضى فلما أمسينا دَخَلَ الصَّبِي وأكلنا فلما فرغنا دللناه عَلَى موضع الطهارة ورأينا فِي أَنَّهُ يؤثر الخلوة فتركناه فِي بَيْت فلما كَانَ فِي بَعْض الليل كَانَ لقريب لنا بنت زمنه فجاءت تمشي فسألناها عَن حالها فَقَالَتْ قُلْت يا رب بحرمة ضيفنا أَن تعافيني فقمت قَالَتْ: فمضينا لنطلب الصَّبِي فَإِذَا الأبواب مغلقة كَمَا كانت وَلَمْ نجد الصَّبِي.

فَقَالَ أَبِي: فمنهم صَغِير وَمِنْهُم كثير..([٣٧])

---

[٣٦] – سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥١) طبقات الصوفية: ١٧٩ ١٧٦، حلية الأولياء: ١٠ / ٣١٥ ٣١٤، تاريخ بغداد: ٥ / ٢١٥ ٢١٣، الرسالة القشيرية: ٢٠، الأنساب: ١٤٦ / أ، تاريخ ابن عساكر: ٢ / ١٣٧ / أ، المنتظم: ٦ / ١٤٩ ١٤٨، صفة الصفوة: ٢ / ٤٤٤ ٤٤٣، العبر: ٢ / ١٣٢، دول الإسلام: ١ / ١٨٦، الوافي بالوفيات: ٨ / ٢٣٩، مرآة الجنان: ٢ / ٢٤٩، البداية والنهاية: ١١ / ١٢٩، طبقات الأولياء: ٨٣ ٨١، النجوم الزاهرة: ٣ / ١٧٠.

أبو حنيفة والصبي: ألا تخاف القصاص يوم القيامة؟

قال مسعر: كنت أمشي مع أبي حنيفة، فوطئ على رجل صبي لم يره، فقال الصبي لأبي حنيفة: يا شيخ!

ألا تخاف القصاص يوم القيامة؟

قال: فغشي على أبي حنيفة فاقمت عليه حتى أفاق، فقلت له: يا أبا حنيفة! ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الصبي!

قال: فقال: أخاف أنه لقن. ([٣٨])

رأى عمر بن عبدالعزيز ولداً له يوم عيد، وعليه قميص خلق (ممزق) فبكى ، فقال له الولد : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عمر: يا بنى أخشى أن ينكسر قلبك في يوم العيد إذ رأيت الصبيان في أحسن الثياب، وأراك بهذا القميص الخلق. فقال الولد العاقل: يا أمير المؤمنين ؛ إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عق أمه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله راضيا عنى برضاك. فبكى عمر - رضي الله عنه - وضمه إليه وقبله بين عينيه ودعا له بالخير والبركة، فكان أغنى الناس بعد أبيه.([٣٩])

الحارث المحاسبي- رحمه الله-

ترجمته: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من كتبه (آداب النفوس) صغير، و (شرح المعرفة) تصوف، و (المسائل في أعمال القلوب والجوارح) رسالة، و (المسائل في الزهد وغيره) رسالة و (البعث والنشور) رسالة، و (مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه) و (الرعاية لحقوق

---

[٣٧] – الرسالة القشيرية (ص: ١٦٩)

[٣٨] – ص (٤٠٦) مناقب أبي حنيفة للإمام الموفق بن أحمد المكي المتوفى سنة (٥٦٨ هـ)

[٣٩] – قطوف وكلمات (ص: ١١)

الله عز وجل) و (الخلوة والتنقل في العبادة) و (معاتبة النفس) في الأزهرية، و (كتاب التوهم) و (رسالة المسترشدين) ومن كلامه: خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم ([٤٠]).

أهذا الشيخ مسلم؟!

ومرّ الحارث المحاسبي وهو صغير بصبيان يلعبون على باب رجل تمار، - يعني: يبيع التمر- فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم، وخرج صاحب الدار ومعه تمرات، فقال للحارث: كل هذه التمرات، فقال الحارث: ما خبرك فيها؟ - يعني: من أين أتيت بها؟ - قال: إني بعت الساعة تمراً من رجل، فسقطت منه هذه التمرات، فكل أنت هذه التمرات التي سقطت من هذا الرجل، فقال الحارث المحاسبي وهو طفل صغير للتاجر التمار: أتعرفه؟ قال: نعم، فالتفت الحارث إلى الصبيان الذين يلعبون وقال: أهذا الشيخ مسلم؟! قالوا: نعم، فمر وتركه.

يعني: مضى الحارث وتركه، فتبعه التمار حتى قبض عليه وقال له: قل لي ما في نفسك؟ فقال: يا شيخ! إن كنت مسلماً فاطلب صاحب التمرات حتى تتخلص من تبعته كما تطلب الماء إذا كنت عطشاناً شديد العطش، يا شيخ! تطعم أولاد المسلمين من سحت وأنت مسلم؟ فقال الشيخ: والله لا اتجرت للدنيا أبداً.

وقال عبد الرحمن بن محمد صاحب كتاب صفات الأولياء: حدثني محمد بن إبراهيم النيسابوري بإسناده أن فتحاً الموصلي رحمه الله تعالى قال: خرجت أريد الحج، فلما توسطت البادية إذا غلام صغير لم تجر عليه الأحكام، فقلت له: إلى أين؟

فقال: إلى بيت ربي، قلت: إنك صغير لم تجر عليك الأحكام، فقال: لقد رأيت أصغر مني مات - يعني: فهو يبادر إلى الحج حتى لو لم يكن مكلفاً؛ لأنه يخشى أن يموت- فقلت: إن خطوك

---

[٤٠] – الأعلام للزركلي (٢/ ١٥٣) طبقات الصوفية – خ – وتهذيب التهذيب ٢: ١٣٤ وابن الوردي ١: ٢٢٧ وصفة الصفوة ٢: ٢٠٧ وميزان الاعتدال ١: ١٩٩ وحلية الاولياء ١٠: ٧٣ والفهرس التمهيدي.وابن خلكان ١: ١٢٦ وتاريخ بغداد ٨: ٢١١ وفيه: قيل: إن الحارث تكلم في شئ من (الكلام) فهجره أحمد بن حنبل، فاختفى في دار ببغداد، ومات فيها، ولم يصل عليه إلا أربعة نفر والأزهرية ٣: ٦٣٢.

قصير، قال: علي الخطو وعليه التبليغ إن شاء، ألم تسمع قوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [العنكبوت: ٦٩] ؟!

قلت: لم أر معك زاداً؟

قال: زادي في قلبي اليقين، حيثما كنت أيقنت أن الله يرزقني، قلت: إنما أردت أنك تتزود الخبز والماء، قال: ما اسمك؟ قال: قلت: فتح، قال: يا فتح! أسألك؟ قلت: سل؟ قال: أرأيت لو أن أخاً لك من أهل الدنيا دعاك إلى منزله، أما كنت تستحي أن تحمل معك طعاماً لتأكله في منزله؟ قلت: بلى، قال: فإن مولاي دعاني إلى بيته، فهو يطعمني ويسقيني،

قال فتح: فجعلت أعجب من أمره وبيانه، وزهده مع صغر سنه.([٤١])

سهل التستري- رحمه الله-

ترجمته: سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في (تفسير القرآن - ط) مختصر، وكتاب (رقائق المحبين) وغير ذلك ([٤٢]).

وروى أيضاً صاحب قصص الأولياء ومراتب الأصفياء بإسناده قال: ذكر سهل التستري الله وهو ابن ثلاث سنين - أي: كان يذكر الله سبحانه وتعالى وعمره ثلاث سنوات- وصام وهو ابن خمس سنين حتى مات، وساح في طلب العلم وهو ابن تسع سنين، وكانت تلقى مشكلات المسائل على العلماء ثم لا يوجد جوابها إلا عنده وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وحينئذٍ ظهرت عليه الكرامات، وكان يفتي في مسائل الزهد والورع، ومقامات الإرادات وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ولما بلغ ثلاث عشرة سنة عرضت له مسألة، فلم يجد في تستر من يجيبه عنها، فقال لأهله:

---

[٤١] – سلسلة علو الهمة –المقدم (٧/ ٧)

[٤٢] – الأعلام للزركلي (٣/ ١٤٣)

طبقات الصوفية ٢٠٦ والوفيات ١: ٢١٨ وحلية الأولياء ١٠: ١٨٩ والمناوي ١: ٢٣٧.

جهزوني إلى البصرة، فلم يجد بالبصرة من يستفتيه، فذكر له حمزة بن عبد الله بعبدان فقصدها، فوجد عنده ما يريد وصحبه.([٤٣])

الله ناظرٌ إليَّ

قال سهل: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، وكان يقولم بالليل، فربما كان يقول لي: يا سهل، اذهب فنمْ فقد شغلتَ قلبي.

قال عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال: قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال لي: قل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاث مرات. من غير أن تحرِّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليَّ، الله شاهد عليَّ.

فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات. فقلت ذلك ثم أعلمت، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرةَ مرَّة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علَّمتك، ودُم عليه إلى أن ندخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.

فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرِّي.

ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل، من كان الله معه، وهو ناظر إليه، وشاهدُه، أيعصيه؟ إيَّاك والمعصيةً.

فكنت أخلو، فبعثوني إلى الكتَّاب، فقلت: إني لأخشى أن يتفرق عليَّ همِّي، ولكن شارطوا المعلِّم: أني أذهب إليه ساعة، فأتعلّم، ثم أرجع.

فمضيت إلى الكتَّاب، وحفظتُ القرآن، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتي خبز الشعير، إلى أن بلغت اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، فسألت أهلي أن يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها، فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد

[٤٣] – سلسلة علو الهمة –المقدم (٧/ ٧،

منهم عني شيئاً!! فخرجت إلى عبادان، إلى رجل يُعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني، فسألته عنها فأجابني. وأقمت عنده مدَّة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه، ثم رجعت لي تستر فجعلت قوتي اقتصاراً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرْق فيطحن ويخبز لي، فأفطر عند السحر كلَّ ليلة على أوقية واحدة بحتاً، بغير ملح ولا إدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة.

ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليل، ثم أفطر ليلة، ثم خمساً، ثم سبعاً، ثم خمساً وعشرين ليلة. وكنت عليه عشرين سنة. ثم خرجتُ أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله.)([٤٤])

أبو الحسين أحمد بن محمد النوري- رحمه الله-

يا الله اغثني

رآه شرطي وهو صبي من جيرانه وهو يمشي في خرابة ويبكي فظنه ضائعا فقا له إلى أين يا أحمد؟

قال والله ما أدرى إلى أين؟

قال ما أبكاك؟

قال أبكاني أنى لا أدرى إلى أين!

قال الشرطي اتبعني أهدك.

قال أحمد: بل اتبعني أنت أهدك صراطا سويا.

ففطن الشرطي لما أراد وقال: كيف تهديني صراطا سويا وأنت لا تدري إلى أين؟

فقال أحمد إني الأن على صراط مستقيم ولكن لا أدرى ما يكون غدا فاتعظ الشرطي بكلامه ([٤٥])

أبو يزيد طيفور بن عيسى- رحمه الله-

---

[٤٤] – الرسالة القشيرية (ص: ١٣)

[٤٥] –نجباء الأبناء ص ١٥٧

أبو يزيد البسطامي: سلطان العارفين، أبو يزيد، طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أحد الزهاد، أخو الزاهدين: آدم وعلي، وكان جدهم شروسان مجوسيا، فأسلم قال: إنه روى عن: إسماعيل السدي، وجعفر الصادق، أي: الجد، وأبو يزيد، فبالجهد أن يدرك أصحابهما.

وقل ما روى، وله كلام نافع، منه، قال: ما وجدت شيئا أشد علي من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائرا.

وعنه قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمنتك؟ ليس العجب من حبي لك، وأنا عبد فقير، إنما العجب من حبك لي، وأنت ملك قدير.

وعنه - وقيل له: إنك تمر في الهواء - فقال: وأي أعجوبة في هذا؟ وهذا طير يأكل الميتة، يمر في الهواء ([٤٦])

ارقد، فإنك صغير بعد.

قال محمد بن ظفر المكي: بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى لما حفظ {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ❖ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل: ١- ٢].

قال لأبيه: يا أبتي! من الذي يقول الله تعالى له هذا؟

قال: يا بني! ذلك النبي محمد- صلى الله عليه وسلم.

قال أبو يزيد: يا أبتي! ما لك لا تصنع كما صنع النبي - ﷺ- ؟

قال: يا بني! إن قيام الليل خصص بافتراضه النبي ﷺ دون أمته. فسكت عنه أبو يزيد.

فلما حفظ قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ} [المزمل: ٢٠].

---

[٤٦] -سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٦) طبقات الصوفية: ٦٧ - ٧٤، حلية الأولياء: ١٠ / ٣٣ - ٤٢، المنتظم: ٥ / ٢٨ - ٢٩، معجم البلدان: " بسطام "، اللباب: ١ / ١٥٢ - ١٥٣، وفيات الأعيان: ٢ / ٥٣١، ميزان الاعتدال: ٢ / ٣٤٦ - ٣٤٧، عبر المؤلف: ٢ / ٢٣، البداية والنهاية: ١١ / ٣٥، طبقات الأولياء: ٢٤٥، ٣٩٨ - ٤٠٢، النجوم الزاهرة: ٣ / ٣٥، شذرات الذهب: ٢ / ١٤٣ - ١٤٤.والبسطامي: بكسر الباء وسكون الطاء: وهي نسبة إلى بسطام: بلدة مشهورة بقومس.

قال: يا أبتي! إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل، فمن هذه الطائفة؟

قال: يا بني! أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال أبو يزيد: يا أبتي! فأي خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه؟

قال: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي.

فاستيقظ أبو يزيد ليلة، فإذا أبوه يصلي، فقال: يا أبت! علمني كيف أتطهر وأصلي معك.

فقال أبوه: يا بني! ارقد، فإنك صغير بعد.

قال أبو يزيد: يا أبتي! إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، أقول لربي: إني قلت لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك، فأبي، وقال لي: ارقد، فإنك صغير بعد، أتحب هذا؟

فقال له أبوه: لا والله يا بني، ما أحب هذا، وعلمه، فكان يصلي معه! ([47])

معروف الكرخي- رحمه الله-

ترجمته: معروف الكرخي علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، واسم أبيه فيروز، وقيل: فيرزان، من الصابئة.([48])

من تلاميذ الملائكة

قال محمد بن المظفر : روي لنا أن أبا محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان أبواه فارسيين نصرانيين ، فأسلماه وهو صغير إلى من يعلمه كتابهم ، فكان يقول له : قل : أب وابن وزوجة ، فيقول معروف : إله واحد ، فيضربه المعلم ، ثم يعود لتعليمه ، فيأبى إلا أن يقول : إله واحد ، وضربه المعلم يوما من الأيام ضربا مبرحا ، فهرب معروف ، فلم يطق أبواه صبرا ، وكادا يهلكان جزعا عليه ... وكانا يقولان : ليتنا لو وجدناه على أي دين كان عليه نتدين بدينه ... ولم يزل معروف

---

[47] – تحفة الواعظ للخطب والمواعظ (ص: ٤٦)

[48] – سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٩) طبقات الصوفية ٨٣ –٩٠، حلية الأولياء ٨ / ٣٦٠، ٣٦٨، تاريخ بغداد ١٣ / ١٩٩، ٢٠٩، الرسالة القشيرية ١ / ٧٩، طبقات الحنابلة ١ / ٣٨١، ٣٨٩، صفة الصفوة ٢ / ٧٩ –٨٣، اللباب ٣ / ٩١، وفيات الأعيان ٥ / ٢٣١، العبر ١ / ٣٣٥، دول الإسلام ١ / ١٢٦، مرآة الجنان ١ / ٤٦٠، ٤٦٣، طبقات الأولياء: ٢٨٠، ٢٨٥، شذرات الذهب ١ / ٣٦٠.

يسير في الأرض حتى لقي على بن موسى الرضا - وهو غلام - فأسلم على يديه ، وتولاه وخدمة مدة طويلة ، ثم عاد إلى أهله بعد ذلك ، فقرع الباب على أبوية ليلا ، ، فقالا : من ؟ قال : معروف . قالا : قبل أن يفتحا له الباب :- على أي دين أنت ، قال : على دين الإسلام ... قالا : أدخل فنحن على دينك .. وأسلما ، وجمع الله شملهم على الهدى ..

وأن معروفا كلم أبويه في أمر دينهما بكلام كرهاه ، فقالت أمه لأبيه إن ابنك طفل لا يحسن هذا الكلام ، وإنما أفسده عليك بعض المسلمين فأحبسه في بيتك ، فإن ذلك أنفع له ، فحبسه في خزانة بيته أياما ، ثم رق عليه فأخرجه ، فعاد إلى الخزانة ، وكان بعد ذلك لا يخرج منها إلا أن يخرجوه كرها ، فقال له أبوه : إلى كم لا تبرح في هذه الخزانة ؟

فقال : إني وجدت فيها الذي زعمتما أنه أفسدني عليكما ، قال أبوه : من هذا؟ فصمت عنه ..... قال أبوه لأمه : هذا عملك !! لقد خلط ولدي في عقله !!

وانطلق به إلى الراهب ، فقص عليه خبره ، وسأله أن يرقيه ويعوذه .... فقال له الراهب : من الذي أفسدك على أبويك؟ قال : قلبي ، ومازال يفكر في الذي فطر الأرض والسماء ، ويفكر في حالهما ومالهما ... قال الراهب : وما الذي تراه يا معروف؟

قال : أرى أن واحدا عمل الأشياء كلها ، ولا يصح أن يشبهه شيء منها ، لأنه لو أشبه شيئا منها لكان معمولا مثلها ... فقال الراهب : مكانك حتى أخرج إليك .. ودخل صومعته ، فأحرج دواة وورقا ، ثم أعاد المسألة على معروف ، وكتب جوابه ، وقال لفيروز : يا فيروز ، لولا أنك قلت لي : إنه ابني ... لقلت : إنه من تلاميذ الملائكة.

فانصرف فيروز بابنه مسرورا ، قال معروف : فحدثت بذلك مولاي علي بن موسى الرضا ، فقال إنك من تلاميذ الملائكة. ([٤٩])

السري السقطي - رحمه الله-

[٤٩] – أنباء نجباء الأبناء

ترجمته : سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن: من كبار المتصوفة. بغدادي المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد، وأستاذه.

قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا إلا في علة الموت. من كلامه: (من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز) ([٥٠]).

ألم يكفك الجهل والغرور

روى ابن ظفر المكي قال: بلغني أن السري السقطي قرأ على مؤدبه: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مريم: ٨٦] فقال: يا أستاذ، ما الورِد؟ فقال: لا أدري فقرأ: {لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم: ٨٧] فقال: يا أستاذ، ما العهد؟ قال: لا أدري. فقطع السري القراءة، وقال: إذا كنت لا تدري، فلم غررت الناس؟ فضربه المؤدب، فقال السري: يا أستاذ! ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى، فاستحله المؤدب، وتاب إلى الله تعالى، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقتني الغلام السري من رق الجهل

ولما بلغ في الحفظ وهو صبى إلى قوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) السجدة / ١٦ ، امتنع أن يضع جنبه على الأرض لنوم ، فكانت أمه تنصب الوسائد عن يمينه وشماله ومن وراء ظهره ، فإذا غلبه النوم أمسكته.([٥١])

أبو السَّرِي السُّلَمِي- رحمه الله-

منصور بن عَمَّار، الواعظ، أبو السَّرِي السُّلَمِي الخُراساني)([٥٢])

أتستغيثين في حالة الشدة بمخلوق

---

[٥٠] – الأعلام للزركلي (٣/ ٨٢) طبقات الصوفية ٤٨ –٥٥ والوفيات ١: ٢٠٠ وتهذيب ابن عساكر ٦: ٧١ –٧٩ وصفة الصفوة ٢: ٢٠٩ وحلية الأولياء ١٠: ١١٦ ولسان الميزان ٣: ١٣ وتاريخ بغداد ٩: ١٨٧.

[٥١] –أنباء نجباء الأبناء(١٤٨).

[٥٢] – موسوعة مواقف السلف (٣/ ٣٥٦).

وقال المظفر- رحمه الله - بلغني: أن أبا السري منصور بن عمار أصاب أمه وجع الولادة و عندها قابلتها و هو صبي بين يديها، فقالت له يا منصور بادر إلى أبيك فادعه

فقال لها: أتستغيثين في حالة الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع وأكون أنا رسولك ؟!

قالت: الساعة أموت.

قال لها: قولي يا الله اغثني.

فقالت ذلك فاندلق جنينها من ساعته ([٥٣])

يا الله شهوت أمي

قالت له: وهي تتوحم يا منصور إني أشم ريح سمك يقلى فانطلق إلى أبيك فاطلبه منه

فقال يبع عليك.

فقالت: إني أجد الرائحة من دار فلان جارتنا فاذهب إليها فاطلبه.

قال: لا ينطق بهذا لساني ولكن أسأل الله فأخذت بأذنه فعركتها وقالت إن لم تأتني بشهوتي لأخبرن أباك.

فقال: يا الله شهوت أمي فقرع الباب ونودي يا منصور فخرج فاذا سمك بين رقاقتين ([٥٤])

أبو حنيفة والطفل: إياك أنت من السقوط

ورأى الإمام أبو حنيفة طفلا يلعب بالطين، فقال للطفل: إياك والسقوط في الطين

فقال الغلام للإمام: إياك أنت من السقوط، لأن سقوطَ العالِم سقوطُ العالَم.

فاهتزّ أبو حنيفة رحمه الله لهذه المقولة، فكان لا يُخرج فتوى – بعد سماعه هذه المقالة إلا بعد مدارستها شهرًا كاملاً مع تلامذته.

---

[٥٣] – نجباء الأبناء (ص ١٦٣).

[٥٤] – نجباء الأبناء(ص: ١٦٣).

أبو سليمان داود بن نصير الطائي- رحمه الله-

ترجمته: الفقيه الواعي البصير الراعي العابد الطاوي أبو سليمان داود بن نصير الطائي أبصر معتبرا وسبق مبتدرا تشمر منتصبا وانتظر مرتقبا أضناه الفرق وألهاه القلق وقيل إن التصوف تشمر لاستباق وتضمر للحاق ([٥٥])

وكان من كبار أصحاب الرأي، لكنه آثر الخمول والإخلاص، وفر بدينه.

سأله رجل مرة عن حديث فقال: دعني فإني أبادر خروج نفسي.

وكان سفيان الثوري يقول: أبصر داود أمره.

وقال ابن المبارك: هل الأمر إلا ما كان عليه داود.

وعن ابن عيينة قال: كان داود الطائي يجالس أبا حنيفة، ثم إنه عمد إلى كتبه فغرقها في الفرات، وأقبل على العبادة وتخلى.

وكان زائدة صديقا له، فأتاه يوما فقال: يا أبا سليمان: " الم. غلبت الروم "، قال: وكان يجيب في هذه الآية، فقال له: يا أبا الصلت، انقطع الجواب، وقام فدخل بيته. ([٥٦])

يا أماه ما كان سعيهم؟

وذكر ابن ظفر في «أنباء نجباء الأبناء»: أنه لما حفظ: (هل أتى على الإنسان) وله آن ذاك خمس سنين، رأته أمه يوم جمعة وهو مقبل على الحائط مفكرا يشير بيديه، فخافت على عقله، فسألته أن يخرج ويلعب مع الصغار فلم يجبها، فولولت فقال: ما لك يا أماه؟ قالت: يا ولدى أين ذهنك؟ قال: مع عباد الله في الجنة (متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا). ومر في السورة وهو شاخص، بلغ قوله تعالى: (وكان سعيهم مشكورا)، فقال: يا أماه ما كان سعيهم؟ قالت: لا أدري.

فدخل أبوه فقال: يا بنى قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

---

[٥٥] – حلية الأولياء (٧/ ٣٣٥) تاريخ الإسلام ت بشار (٤/ ٣٥٧).

[٥٦] – تاريخ الإسلام ت بشار (٤/ ٣٥٨)

قال: فلم يزل داود يكررها.

وقيل: إنه شكى جار جارا له، فجعل الشاكي يغلظ لخصمه ما لا ينبغي. فقال له داود: إن لسانك لرطب، فيبس لسان الرجل لساعته، حتى بقي كالعظم.

فقال داود: اللهم أنت تعلم أني لم أرد هذا.

فانطلق لسان الرجل، وتاب عن الملاحاة. ..([٥٧])

حماد بن سلمة وطفلة: يا رفيق ارفق بي

عفان بن مسلم قال: قال لي حماد بن سلمة: ألح علينا المطر سنة من السنين وفي جواري امرأة من المتعبدات لها بنات أيتام، فوكف السقف عليهم، فسمعتها تقول: يا رفيق ارفق بي. فسكن المطر فأخذت صرة فيها دنانير وقرعت بابها. فقالت: اللهم اجعله حماد بن سلمة. قلت: أنا حماد بن سلمة، وأخرجت الدنانير وقلت لها: انتفعي بهذه، فإذا صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها قد خرجت علي وقالت: ألا تسكت يا حماد؟ تعترض بيننا وبين ربنا؟ ثم قالت: يا أماه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه. ثم ألصقت خدها على التراب وقالت: أما أنا وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني، ثم قالت: يا حماد رد دنانيرك عافاك الله إلى الموضع الذي أخرجتها منه فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس العاملين. ([٥٨])

ليحيى بن معاذ وطفلة: يا أبه أو ما أستحي من الله

عبد الله بن محمد بن وهب قال كان ليحيى بن معاذ ابنة صغيرة السن جدا فطلبت من أبيها شيئا فقال لها يا بنتي اطلبي ذاك من الله فقالت يا أبه أو ما أستحي من الله أن أتقدم إليه في شيء يؤكل ([٥٩])

أبو العباس بن مسروق والصبي

---

[٥٧] – نجباء الأبناء ٦٠–٦١) «إكمال تهذيب الكمال – ط الفاروق» (٤/ ٢٦٩)

[٥٨] – صفة الصفوة (٤/ ٤٤١)

[٥٩] – صفة الصفوة (٤/ ٤٤١)

لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله

أبو العباس بن مسروق قال كنت باليمن فرأيت صيادا يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنة له فكلما

اصطاد سمكة فتركها في دوخلة معه ردت الصبية السمكة إلى الماء فالتفت الرجل فلم ير شيئا فقال لابنته أي شيء عملت بالسمك؟

فقالت يا أبي أليس سمعتك تروى عن النبي ﷺ أنه قال : لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله عز وجل.

فلم أحب أن نأكل شيئا غفل عن ذكر الله تعالى فبكى الرجل ورمى بالصنارة ([٦٠])

يا أبه لا تطعمنا إلا الحلال

عن خزيمة أبو محمد قال: قال بنات رجل لأبيهن: يا أبه لا تطعمنا إلا الحلال فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار فبلغ ذلك سفيان الثوري فقال ما لهن رحمهن الله ([٦١])

❖❖❖❖

الإمام الجنيد- رحمه الله-

أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، الزاهد المشهور؛ أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه في الحقيقة مشهور مدون، وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنهما، وقيل: بل كان فقيها على مذهب سفيان الثوري رضي الله عنه. وصحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي وغيرهما من جلة المشايخ رضي الله عنهم.

وقال الجنيد: قال لي خالي سري السقطي: تكلم على الناس، وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاقي ذلك، فرأيت ليلة في المنام رسول الله صلى الله

---

[٦٠] – صفة الصفوة (٤/ ٤٤١)

[٦١] – صفة الصفوة (٤/ ٤٤١)

عليه وسلم، وكانت ليلة جمعة، فقال لي: تكلم على الناس، فانتبهت، وأتيت باب السري قبل أن أصبح، فدققت الباب فقال لي: لم تصدقنا حتى قيل لك، فقعدت في غد الناس بالجامع وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس، فوقف علي غلام نصراني متنكراً وقال: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه بنور الله فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام.([٦٢])

يا غلام ما الشكر

قال الجنيد- رحمه الله - كنت العب بين يدي السري السقطي وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت أن لا تعصي الله بنعمة فقال أخشى أن يكون حظك من الله لسانك قال فلا أزال أبكي على هذه([٦٣])

لماذا يا أبي لا تصلي الفجر،

قصة مؤثرة: قصة لطفل يدرس في الصف الثالث الابتدائي، فكم سيكون عمر ذلك الطفل...؟ في يوم من الأيام كان هذا الطفل في مدرسته وخلال أحد الحصص كان الأستاذ يتكلم فتطرق في حديثه إلى صلاة الفجر وأخذ يتكلم عنها بأسلوب يتألم سن هؤلاء الأطفال الصغار وتكلم عن فضل هذه الصلاة وأهميتها سمعه الطفل وتأثر بحديثه،

فهو لم يسبق له أن صلى الفجر ولا أهله... وعندما عاد الطفل إلى المنزل أخذ يفكر كيف يمكن أن يستيقظ للصلاة يوم غدا..... فلم يجد حلا سوى أنه يبقى طوال الليل مستيقظا حتى يتمكن من أداء الصلاة وبالفعل نفذ ما فكر به وعندما سمع الأذان انطلقت هذه الزهرة لأداء الصلاة ولكن ظهرت مشكلة في طريق الطفل.... المسجد بعيد ولا يستطيع الذهاب وحده، فبكى الطفل وجلس أمام الباب.... ولكن فجأة سمع صوت طقطقة حذاء في الشارع فتح الباب وخرج مسرعا فإذا برجل شيخ يهلل متجها إلى المسجد نظر إلى ذلك الرجل فعرفه نعم عرفه أنه جد زميله أحمد ابن جارهم تسلل ذلك الطفل بخفية وهدوء خلف ذلك الرجل حتى لا يشعر به فيخبر أهله فيعاقبونه، واستمر

---

[٦٢] – وفيات الأعيان (١/ ٣٧٣)

[٦٣] – الوافي بالوفيات (١١/ ١٥٥)

الحال على هذا المنوال، ولكن دوام الحال من المحال فلقد توفى ذلك الرجل (جد أحمد) علم الطفل فذهل.. بكى وبكى بحرقة وحرارة استغرب والداه فسأله والده وقال له: يا بني لماذا تبكي عليه هكذا وهو ليس في سنك لتلعب معه وليس قريبك فتفقده في البيت، فنظر الطفل إلى أبيه بعيون دامعة ونظرات حزن وقال له: يا ليت الذي مات أنت وليس هو، صعق الأب وانبهر لماذا يقول له ابنه هذا وبهذا الأسلوب ولماذا يحب هذا الرجل؟ قال الطفل البريء أنا لم أفقده من أجل ذلك ولا من أجل ما تقول، استغرب الأب وقال إذا من أجل ماذا؟

فقال الطفل: من أجل الصلاة نعم من أجل الصلاة، ثم استطرد وهو يبتلع عبراته لماذا يا أبي لا تصلي الفجر، لماذا يا أبتي لا تكون مثل ذلك الرجل ومثل الكثير من الرجال الذين رأيتهم فقال الأب: أين رأيتهم؟

فقال الطفل في المسجد قال الأب: كيف، فحكى حكايته على أبيه فتأثر الأب من ابنه واشعر جلده وكادة دموعه أن تسقط فاحتضن ابنه ومنذ ذلك اليوم لم يترك أي صلاة في المسجد.

الباب الخامس

صور مشرقة في الجهاد وطلب الشهادة

فضل الجهاد: الجهاد ذروة سنام الإسلام وهو التجارة التي لا تبور والعقد المتين بين رب العالمين وعباده المجاهدين {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١]

"يروى عن جدنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام في معنى الآية:

أثامن بالنفس النفيسة ربها فليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها أشتري الجنات إن أنا بعتها بشيء سواها إن ذلكم غبن

إذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها فقد ذهبت مني وقد ذهب الثمن

ويروى عنه أنه قال: ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها".([٦٤])

وفي فضل الجهاد والاستشهاد أذْكُر مجموعةً من الآيات الكريمة، التي تُبيِّن لنا ما أعدَّه الله - تعالى - للمجاهِدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم:

• الجهاد في سبيل الله - تعالى - مِفتاحُ الخير، وبابُ الفلاح؛ قال الحق - جلَّ وعلا -: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التوبة: ٨٨].

• الجهادُ في سبيل الله - تعالى - سبيل الهداية؛ قال الخالق - جلَّت حِكمتُه -: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].

• الجهادُ في سبيل الله بابُ الشهادة، والشهادة ثوابُها الجنَّة، والشهيدُ حيٌّ عندَ ربه؛ وقال الله - تبارك وتعالى -: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩].

• المجاهدُ في سبيل الله أفضلُ من القاعد المتقاعِس، له درجاتٌ عندَ الله، وفضلٌ عظيم؛ فالله - تبارك وتعالى - جعَل الجهادَ ذِروةَ سَنام الإسلام؛ تشريفًا له وإعظامًا، وفضَّل المجاهدين على القاعدين من المؤمنين، ولو كانوا سُجَّدًا وقيامًا؛ يقول ربُّنا العزيز: {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٥].

ولله درُّ القائل:

مُجَاهِدٌ فَضَّلَهُ رَبُّهُ وَقَاعِدٌ مُسْتَسْلِمٌ جَائِحٌ

• الجهادُ مدرسة لفرْز الصادق من المدَّعِي؛ قال الحق - جلَّ في علاه -: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: ٣١].

---

[٦٤] – تفسير المنار (١١/ ٤٠)

وقال مولانا - سبحانه وتعالى - : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ٢١٨].

وقال - عزَّ اسمُه - : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: ١٥].

• المجاهِد في سبيل الله - تعالى - كَمُل إيمانُه، وغُفِرت له ذنوبه، وله عندَ ربه منزلة عظيمة؛ قال - عزَّت عظمتُه - : {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: ٧٤].

وقال - تقدَّستْ كلماتُه - : {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة: ٢٠].

• الجهاد بَيْعةٌ معقودة مع الله، ثمنُها النجاة من عذاب الله ودخول الجنَّة؛ يقول الله - تبارك وتعالى - : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ❖ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الصف: ١٠-١١].

ويقول الحقُّ - جلَّ وعلا - : {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١].

اعلم علمني الله وإياك: أن البيت الذي بني على حب التضحية والفداء وحب الشهادة في سبيل الله لابد أن ينشأ أبناؤه على تلك القيم وتلك المبادئ ومن أشبه أباه فما ظلم، وأن ذاك الشبل من ذلك الأسد.

حالهم:

لترمي بي المنايا حيث شاءت فإني في الشجاعة قد ربيت

أو كقول القائل:

ومن تكن الأسد الضواري جدوده يكن زاده رفدا ومطعمه عطبا

فهيا هيا لنرى أشبال الإسلام وهم في ميدان النزال.

أسامة بن زيد

كان "أسامة" فارسًا شجاعًا منذ صغره، يحب الجهاد في سبيل الله، فخرج مع رسول الله – ﷺ – في غزوة "أحد" وكان في الرابعة عشرة من عمره تقريبًا، لكن النبي - إشفاقًا منه ورحمة بأسامة -

أرجعه إلى المدينة لصغر سنه ، ثم اشترك في غزوة "الخندق" بعد أن كبرت سنه واشتد عوده ، كما اشترك في غزوة "مؤتة" تحت قيادة أبيه الذي استشهد في الغزوة .

ولما بلغ "أسامة" الثامنة عشرة من عمره ولاه الرسول – ﷺ– إمارة الجيش المتجه إلى الشام لتأديب بعض القبائل، وكان تحت قيادته كبار المهاجرين والأنصار، لكن هذا الجيش لم يخرج إلا بعد وفاة النبي – ﷺ– وعاد ظافرًا منتصرًا.

عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟

قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ ويستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج، لعل الله يرزقني الشهادة. قال: فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره

فقال: ارجع! فبكى عمير، فأجازه رسول الله ﷺ.

قال: فكان سعد يقول: كنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة.([٦٥])

امرأة من الأنصار تقدم صبيها ليجاهد في سبيل الله.

أخرج ابن أبي شيبه عن الشعبي أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله ، فشتدته على ساعده بنسعة ثم أتت به النبي – ﷺ– قالت : يا رسول الله – ﷺ– هذا ابني يقاتل عنك فقال النبي – ﷺ– أي بني أحمل هاهنا أي بني أحمل هاهنا فأصابته جراحه فصرع فأتى به النبي – ﷺ– فقال – ﷺ– أي بني لعلك جزعت قال : لا يا رسول الله . ([٦٦])

أخبرت أنه يسب رسول الله – ﷺ–

وتعال أخي لنعيش مع هذا المشهد الرائع لغلامين من أبناء الأنصار وهم في أرض المعركة يوم بدر عن عبد الرحمن بن عوف – ﷺ– قال : إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما فعزني أحدهما فقال : يا عم أتعرف أبا جهل ؛ فقلت : نعم وما حاجتك إليه ؛ قال ؛ أخبرت أنه يسب رسول الله – ﷺ– والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا ،

---

[٦٥] – المغازي–الواقدي (ص: ٩)

[٦٦] – حياة الصحابة للكاندهلوى – (٢ / ١٣٣)

فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال : لي أيضا مثله ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت : آلا تريان ؛ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى النبي – ﷺ– فأخبراه.

فقال : آيكما قتله ؛

قال كل منهما أنا قتلته ، قال هل مستحما سيفكما ؛ قال فنظر النبي – ﷺ– في السيفين فقال كلاهما قتله ، وقضي بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والآخر ومعوذ بن عفراء. ([٦٧])

الأطفال الأبطال يسارعون للانضمام إلى صفوف المقاتلة في سبيل الله

أخرج بن عساكر عن سعد بن أبي وقاص – ﷺ– قال : رد رسول الله – ﷺ– عمير بن أبي وقاص – ﷺ– عن مخرجه إلى بدر واستصغره فبكى عمير بن أبي وقاص – ﷺ– فأجازه ، قال سعد : فقعدت عليه حمالة بسيفه ولقد شهدت بدرا وما في وجهي ألا شعره واحدة أمسحها بيدي . ([٦٨])

وأخرج ابن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص : – ﷺ– قال : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله – ﷺ– يوم بدر يتوارى فقلت مالك يا أخي ؛ قال إني أخاف أن يراني رسول الله – ﷺ– فيستصغرني فيردني ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة.

قال : فعرضني على رسول الله – ﷺ– فرده فبكي ، فأجازه ، فكان سعد – ﷺ– يقول فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره فقتل وهو ابن ست عشر سنه.)([٦٩])

❖ غزوة أحد واستعراض النبي ﷺ جيشه .

عندما وصل النبي – ﷺ– إلى مقام يقال له " الشيخان " استعرض جيشه فرد من استصغره ولم يره مطبقا للقتال ، وكان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأسامة بن زيد ، وأسيد بن ظهير ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، وعرابة بن أوس ، ويذكر في هؤلاء البراء بن عازب ولكن حديثه في البخاري يدل على شهوده القتال في ذلك اليوم وأجاز رافع بن خديج وسمرة بن جندب على صغر سنهما ، وذلك أن رافع بن خديج كان ماهرا في رماية النبل فأجازه فقال سمرة : أنا أقوي من رافع أنا أصرعه فلما أخبر رسول الله – ﷺ– بذلك أمرهما أن يتصارعا أمامه فتصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه أيضا) ([٧٠])

---

[٦٧] – أخرجه البخاري ٣١٤١ ومسلم ١٧٥٢ ، و وأبو يعلى (٨٦٦) ، والطحاوي ٢٢٧/٣ –٢٢٨، وابن حبان (٤٨٤٠) ، والحاكم ٤٢٥/٣، والبيهقي ٣٠٥/٦ –٣٠٦ و٣٠٦ وأخرجه البزار (١٠١٣)

[٦٨] – السيرة النبوي لأبي فارس، ص٣١٧ نقل عن صفة الصفوة (٢٩٤/١) والمستدرك (١٨٨/٣) والإصابة (٣٥/٣).

[٦٩] – الإصابة في تمييز الصحابة – (٤ / ٧٢٥).

[٧٠] – مغازي الواقدي –رقمية – (١ / ٢١٦)و السيرة الحلبية – (٢ / ٤٩٣)و تاريخ الرسل والملوك – (١ / ٤٧٠).

حب طلحة بن البراء لرسول الله - ﷺ- :

أخرج الطبراني عن حصين بن وحوح الأنصاري أن طلحة بن البراء - رضي الله عنه - ، لما لقي النبي - ﷺ- ، فجعل يلصق برسول الله - ﷺ- ويقبل قدميه ، قال: يا رسول الله! مرني بما أحببت ولا أعصي لك أمراً ،

فعجب لذلك النبي - ﷺ- : وهو غلام ، فقال له عند ذلك: اذهب فاقتل أباك! " فخرج موليا ليفعل فدعاه فقال له: " أقبل فإني لم أبعث بقطيعة رحم، فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي - ﷺ- يعوده في الشتاء في برد وغيم، فلما انصرف، قال لأهله: " لا أري طلحة إلا قد حدث فيه الموت، فآذنوني به حتى أشهده، وأصلي عليه، وعجلوه فلم يبلغ النبي - ﷺ- بني سالم بن عوف حتى توفي، وجن عليه الليل، فكان فيما قال طلحة: ادفنوني وألحقوني بربي - عز وجل - ولا تدعو رسول الله - ﷺ- فإني أخاف عليه اليهود، أن يصاب في سببي فأخبر النبي - ﷺ- حين أصبح فجاء حتى وقف علي قبره فصف الناس معه ثم رفع يديه، فقال: " اللهم الق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك. ([٧١])

الزبير بن العوام رضي الله عنه —

أتيت أضرب بسيفي من أخذك.

عن أبي الأسود، عن عروة قال: أسلم الزبير، ابن ثمان سنين، ونفحت نفحة من الشيطان أن رسول الله أخذ بأعلى مكة، فخرج الزبير وهو غلام، ابن اثنتي عشرة سنة، بيده السيف، فمن رآه عجب،

وقال: الغلام معه السيف، حتى أتى النبي، ﷺ، فقال: ما لك يا زبير ؟

فأخبره وقال: أتيت أضرب بسيفي من أخذك. ([٧٢])

علي بن أبي طالب —رضي الله عنه-

[٧١] – الوافي بالوفيات (١٦/ ٢٧٤) حياة الصحابة –باب خروج الصحابة عن الشهوات –محبة النبي –صلى الله عليه وسلم – ٢/ ٢٩٩.

[٧٢] – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٣/ ٤٩٧) هو في " المستدرك " ٣ / ٣٦٠ –٣٦١ من طريق: ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة. وأخرجه أبو نعيم في " الحلية " ١ / ٨٩ من طريق: الإمام أحمد، عن حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة بن أبيه عروة...ورجاله ثقات

هو "على بن أبى طالب بن عبد المطلب"، ابن عم النبي – صلى الله عليه وسلم – تربى في بيته، لأن أباه كان كثير العيال قليل المال.

فأراد النبي – ﷺ– أن يخفف عنه أعباء المعيشة فأخذ "عليًّا" ليعيش معه في بيته، وظل معه حتى شهد بعثته – ﷺ– وكان ضمن أول ثلاثة أعلنوا إسلامهم.

كان "على بن أبى طالب"- رضى الله عنه- منذ صغره شجاعًا قويًّا، فنام على فراش النبي – ﷺ – حين خرج مهاجرًا ، وهو يعلم أن فرسان قريش خارج المنزل يريدون قتل النبي ، ولو اقتحموا المنزل لقتلوه ظانين أنه النبي – ﷺ– وقد شهد "على ابن أبى طالب" مع النبي – ﷺ– غزوة "أحد" و "الخندق"، وبارز في تلك الغزوة فارس قريش و العرب "عمرو بن عبد ود"، وتغلب عليه وطعنه طعنة أسقطته قتيلا، وأعطاه النبي – ﷺ– الراية في غزوة "خيبر" وقال: "لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله". (٧٣)

حارثة بن سراقة - رضي الله عنه-

ويحك أوَ هبلتِ؟!

عن أنس رضي الله عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله: قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع، فقال: ((ويحك أوَهبلتِ؟! أَوَجنة واحدة؟

إنها جنات كثيرة وإنه في جنة الفردوس)(٧٤)

يا أبا قدامه أقرضني ثلاثة أسهم

فقد أخرج ابن الجوزي وابن النحاس تلك القصة التي يقصها علينا أبو قدامه الشامي يقول - رحمه الله - : كنت أميرا على الجيش في بعض الغزوات قد خلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الجهاد ورغبتهم في الثواب وذكرت فضل الشهادة ثم تفرق الناس، وسرت إلى منزلي فإذا بامرأة

---

٧٣ - أخرجه ابن ماجه (١٢١)، والنسائي في الخصائص (١٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٨٧)، وأصله عند مسلم (٢٤٠٤)، وأحمد (١٦٠٨).

٧٤ – صحيح البخاري–(ص: ١٦٤)رقم(٣٩٨٢)

من أحسن الناس تنادي، يا أبا قدامه فقلت هذه مكيدة من الشيطان فلم أجبها فعادت تنادي فلم أجبها فقالت: ما هكذا يفعل أرباب الصلاح بأهل الإرادة، فوفقت لها: فجاءت ودفعت إلي رقعة وحزمة مشدودة ثم انصرفت وهي تبكي قال: فنظرت إلى الورقة وإذا مكتوب فيها: دعوت الناس إلى الجهاد وحرضتهم على الثواب وأنا امرأة ولا قدره لي على الجهاد وقد، قطعت أحسن ما في وهما ضفيرتاي وقد، أتيت بهما لتجعلهما قيدا لفرسك، لعل الله يرى ذلك فيغفر لي فلما كانت ليلة القتال أخرجت الضفرتين فقيدت بهما فرسي فلما طلع الفجر ووقع القتال فإذا أنا بغلام حسن الوجه صبور على الشدائد فتقدمت إليه: يا بني أنت راجل ولا أمن عليك أن تجول الخيل فتطؤك بأرجلها فارجع إلى موضعك، قال: فالتفت إلي وقال: كيف أرجع وقد قال الله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] قال: فأعطيته قوسا كان معي، فقال: يا أبا قدامه أقرضني ثلاثة أسهم فقلت ما هذا القرض؛ فقال: بالله عليك أقرضني قال: فأعطيته سهما فوضعه في قوسه فقتل روميا، فقلت: أنا شريك في هذا الثواب، قال فقال: نعم: فأعطيته سهما أخر فقتل به روميا آخر، ثم ناولته سهم بين عينيه فخر صريعا، فوقفت عليه، وقلت يا ولدي لا تنسني فأنك عاهدتني فقال: نعم، ثم قال: يا أبا قدامه لي حاجة إذا دخلت المدينة، فائت والدتي وسلم عليها عني وناولها هذا الخرج، فقلت: ومن والدتك؛ قال: التي قطعت شعرها وقالت اجعله قيدا لفرسك، قال فاشتغلت بالبكاء فقضى نحبه- رحمه الله- ، فدفنته فلما أنقضي القتال وعدت إلى قبره رأيته على وجه الأرض قد قذفته فحفرتله حفرة أخري فدفنته ثانيا، فقال: أصحابنا دعه فهو غلام لعله خرج من غير أذن والدته، قال: فوقعت في حيرة، فأذن مؤذن العشاء فقمت فصليت وجعلت أتضرع إلى الله وأبكي وأقول يا رب ما ادري ما أصنع به، قال: فسمعت صوتا ينادي: يا أبا قدامه دع ولي الله وذهب، فتركته فنزلت طيور فأكلته وأنت السباع فابتلعت العظام، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى بيت والدته فطرقت الباب فخرجت طفلة صغيرة، فلما رأت الخرج رجعت ونادت يا أماه: جاء أبو قدامه بخرج أخي أصبنا في العام الأول بأبي وفي الثاني بأخي: وفي هذا بأخي الأخر، قال: فكدت أتلف من البكاء فخرجت تلك المرأة وهي تقول: أمهنيا جئت أما معزيا؛ أن كان ولدي قد استشهد فهنني، فقلت: لا والله بل استشهد، فقالت وما علامة ذلك؛ قلت: قتل قالت: قبلته الأرض أم لا؛ قلت لا والله، قالت

الحمد لله ثم فتحت صندوق وأخرجت مسحا أسود، وغلا من حديد، وقالت انه كان إذا جنه الليل يلبس هذا المسح ويغل يده بهذا الغل، ويقول: إلهي: احشرني من حواصل الطير وبطون السباع فمالي عين تراك، وقد استجاب الله منه ذلك.)([٧٥])

المظفر قطز

أنت تملك الديار المصرية وتكسِرُ التتار

عن الشيخ علاء الدين على بن غانم عن المولى تاج الدين أحمد بن الأثير، كاتب السر في أيام الملك الناصر صاحب دمشق، قال: لما كنا مع السلطان الناصر بوطأة برزة، كانت البريدية يخبرون بأن المظفر قطز قد تولى سلطنة الديار المصرية، فقلت ذلك للسلطان. فقال: اذهب إلى فلان وفلان وأخبرهم بهذا، فلما خرجت من عنده لقبنى بعض الأجناد، فقال لي: جاءَكم الخبر من الديار المصريَّة بأن قطز تملك. قلت: ما عندي من هذا علم، وما يُدرك أنت هذا؟

فقال: بل والله إنه سبلي المملكة ويكسر التتار. فقلت: من أين تعلم هذا؟ قال: كنتُ أخذته وهو صغير وعليه قمل كثير، فكنت أفليّه وأهينه. فقال لي: ويلك إش تريد أن أُعطيك إذا تملكتُ الديار المصرية. فقلت: أنت مجنون، فقال: لا والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي: أنت تملك الديار المصرية وتكسِرُ التتار، وقول رسول الله عليه السلام حق لا شك فيه. فقلت له حينئذ وكان صادقاً: فأريد منك إمرة خمسين. فقال: نعم.

قال ابن الأثير: فلما قال لي هذا قلت: هذه كتب المصريين بأنه تولى السلطنة. فقال: والله ليكسرنَّ التتار، فكان كما قال.

قال: ولما رجع الناصر يوسف إلى ناحية الديار المصريَّة وأراد دخولها فلم يدخل ورجع عنها، ودخلها أكثر الجيوش، كان هذا الحاكي في جملة من دخلها، فأمَّره المظفَّر قطز إمرة خمسين فارساً، ووفَّى له بالوعد، وهو الأمير كمال الدين البركختانى.

---

[٧٥] –تحفة الواعظ للخطب والمواعظ (ص: ١٤٦)

قال ابن الأثير: فلقيني بالديار المصرية بعد أن تأمَّر فذكرني بما كان أخبرني عن المظفر، فذكرته، ثم كانت وقعة التتار على إثر ذلك.([٧٦])

تأمّلنَ فعلي هل رأيتنّ مثله

روى المفضل الضبي قال نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنت مشغوفاً بسماع أخبار العرب وجمعها فأخذت أجول بين خيامهم وأتحسس من أحوالهم وإذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها آخذة بيد غلام قلما رأيت مثله في حسنه وجماله وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب يسترق السمع ويترشفه القلب فكان أكثر ما أسمعه منها (بني وأي بني) وهو يبتسم في وجهها وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربات الحجال فلا يحير جواباً ولا يبدي خطاباً فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت فسلمت فرد علي السلام ووقفت أنظر إلى المرأة والغلام

فقالت لي: يا حضري ما حاجتك قلت الاستكثار ما أسمع والاستمتاع بما أرى فابتسمت وقالت يا هذا إن شئت سقت إليك ما هو أحسن مما رأيت فقلت هاتي حفظك الله:

قالت: ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فربي بيننا كأنه شبل وكنت أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى إذا ما تمت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وطلب سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده فلما أن اشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشي الخيلاء بين بيوتات الحي وأصغي إلى أصوات ذوي الحاجات فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام وأنا عليه وجله أحرسه من العيون أن تصيبه ومن الألسن أن تعيبه إلى أن نزلنا في بعض الأيام منهلاً من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحي في طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى أن أصابت الغلام وعكة شغلته عن الخروج حتى إذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره ونحن آمنون وادعون فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح حتى طلعت علينا طلائع العدو وغرر الجياد ثواراً لا زواراً فما كان إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال وهو يسألني ما الخبر وأنا أستره عنه إشفاقاً عليه وضناً به حتى إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره

[٧٦] – عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ص: ٦٥)

وثار كما يثور الضرغام إذا أغضب فأمر بإسراج فرسه ولبس درع حربه وأخذ رمحه بيده وركب حتى لحق حماة القوم وأنا أنظر إليه فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم فقلته فانصرفت إليه وجوه الفرسان فرآه غلاماً صغيراً لا مدد وراءه فحملوا عليه فأسرع يؤم البيوت حتى إذا خلفهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم من الرمية وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به أو لهلكن دونه فتداعت إليه الأقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا إليه الأسنة ومالوا عليه بالأعنة فوثب عليهم وهو يزأر كالأسد وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة إلا هزمها حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه ففاز بالأموال وأقبل بها فكبر القوم عند رؤيته وفرحوا فرحاً عظيماً بسلامته فوالله ما رأينا قط يوماً كان أسمح صباحاً وأحسن رواحاً من ذلك اليوم ولقد سمعته ينشد في وجوه فتيات الحي هذه الأبيات:

تأمّلنَ فعلي هل رأيتنّ مثله إذا حشرجت نفس الكميّ عن الكربِ

وضاقتْ عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مسلوب العزيمة والقلبِ

ألم أعطِ كلاً حقّه ونصيبه من السّمهري اللّدن والصارم العضب

أنا ابن أبي هند بن قيس بن خالد سليل المعالي والمكارم والسّيب

أبي لي أن أعطي الظلامةُ مرهفٌ وطرفٌ قوي الظهر والجوف والجنب

وعزمٌ صحيح لو ضربت بحده شماريخ رضوى لا نحططن إلى التّرب

وعوضٌ نقيّ أتقى أن أعيبه وبيت شريف في ذرى ثعلب الغلب

فإن لم أقاتل دونكن واحتمي لكنَّ وأحميكنّ بالطّعن والضّرب

وأبذل نفساً دونكنَّ عزيزةً عليَّ لأطراف القنا وظبي القضب

فلم تصدق اللاتي مشين إلى أبي يهنّئنه بالفارس البطل النّدب)[٧٧]

السلطان محمد الفاتح (رحمه الله)

وانظر إلى السلطان محمد بن مراد الفاتح (رحمه الله) الذي وُلد في ليلة السابع والعشرين من رجب سنة (٨٣٥هـ)، ولم يكد هذا الفتى الصغير يتخطى العاشرة من عمره حتى قرر والده أن يقذف به في غمار الحياة العملية، فعيّنه والياً على مقاطعة «أماسيا»، ثم قائداً عاماً لمنطقة «مانيسيا».

وما مضت بضعة شهور حتى بدأ الناس يتهامسون بأن هذا الشبل من ذاك الأسد، فقد أظهر محمد الفاتح من الكفاءة العسكرية والإدارية ما أعطى الدليل على أن رجاء الوالد السلطان لم يخب في ابنه الأمير.

وفي سنة (٨٤٨هـ) استدعى السلطان مراد الأمير محمداً من «مانيسيا»، لتسليمه مقاليد السلطنة في «أدرنة» عاصمة الدولة العثمانية آنذاك، ولم يكن الأمير محمد في ذلك الوقت قد أكمل الرابعة عشرة من عمره، واستمر الأمير محمد في إدارة شؤون السلطنة عاماً كاملاً، وبعدها قرر استدعاء والده السلطان مراد ليتولّى من جديد مقاليد السلطنة، ولكن السلطان مراد اعتذر بحاجته الماسة إلى الراحة، فما كان من الأمير إلا أن أرسل رسالة إلى والده يقول فيها: إن كنت تصرّ على أن أبقى على رأس الدولة فإني أذكرك - يا والدي - بما أوجبه الله على المسلمين من حق الطاعة لولي أمرهم، ولهذا فإني آمرك أن تُسرع بالقدوم إلى «أدرنة»، لقيادة جيوش المسلمين.

وحين وصلت رسالة الأمير إلى السلطان مراد ذرفت عيناه دموع الفرح، فقد أدرك أن ولده الفتى يتصرّف بحزم الرجال وعزيمتهم، وتنحّى له الأمير محمد عن مقاليد السلطنة، واستمر السلطان مراد في تحمّل مسؤولية السلطنة حتى وفاته سنة (٨٥٥هـ).

هذه طفولة وصبا محمد الفاتح، يتولّى القيادة وهو ابن عشر سنوات، ثم يفتح القسطنطينية، وما أدراكم ما القسطنطينية؟! وعمره ٢٢ عاماً فقط، ولعلّه يحق فيه ما قاله الرسول (صلى الله عليه وسلم): «لتفتحنّ القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش» [٧٨]

---

[٧٧] – جواهر الأدب (١/ ٢٣٤-٢٣٥)

محمد بن القاسم الثقفي

وهو مَثل آخر لصناع التأثير في هذه الحياة، فقد قاد فتح السند والهند وعمره سبعة عشر عاماً، وعَظُمتْ فتوحه وكثُرت غنائمه حتى قال الحجاج بن يوسف الثقفي: «شفينا غيظنا، وأدركنا ثأرنا، وازددنا ستين ألف ألف درهم، ورأس داهر» (داهر هو ملك السند، وقد قتله محمد بن القاسم).

لماذا تبكي أيها الطفل؟

قبل أن يدخل المستعمرون الصليبيون بلاد الأندلس الإسلامية في عصر الدولة الأموية، أرسلوا أحد أقطاب المستعمرين لينظر حال المسلمين في بلاد الأندلس، ليعلموا هل يمكن غزو المسلمين في هذه البلاد أم لا؟

ودخل الرجل الصليبي بلاد الأندلس، فرأى طفلا صغيرا يبكي، فجاء إلى الطفل الباكي وسأله: لماذا تبكي أيها الطفل؟ قال الطفل: أبكي لأن أخي يضرب بالسهام في الضربة ضربتين، وأنا اضرب في الضربة ضربة واحدة!!

فرجع الرجل الصليبي إلى الصليبيين المستعمرين، وقال: لم يأن الأوان لغزو المسلمين. وما كان منهم إلا أن أرسلوا إلى المسلمين ما يبعدهم عن الله تعالى، كآلات الغناء والشطرنج والطاولة والحشيش والتدخين ... وبعد مدة من الزمان، رجع أحد أقطاب المستعمرين إلى بلاد الأندلس، فوجد شيخا كبيرا يبكي. فسأله: ما الذي يبكيك؟

قال: إن حبيبتي تركتني منذ ساعتين ولم تأتِ!!([٧٩]) فعلموا أن الوقت قد حان لقطف الثمرة!!!

فلما ابتعدنا عن كتاب ربنا وسنة نبينا -ﷺ- احتلت القدس و استبيحت نساؤنا و قتل شيوخنا في فلسطين و افغانستان و في بورما و كشمير و الله - تعالى - المستعان ولا حولا ولا قوة الا بالله العظيم

---

[٧٨] -(رواه البخاري في التاريخ الكبير).

[٧٩] - أطفال الصحابة رضي الله عنهم، د/ مصطفى مراد، ص: ٦٥.

❖❖❖❖❖❖❖

الباب السادس

من تكلم عند الخلفاء وهو صغير فارتفع بذلك شأنه

محمد بن عبد الملك بن صالح

سليل نعمتك وابن دولتك

دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم، وهو صبي أمرد، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال: من أنت؟

قال: سليل نعمتك وابن دولتك، وغصن من أغصان دوحتك، أتأذن لي بالكلام؟

قال: نعم. فتكلم بكلام حسن، فقضى حاجته. ([٨٠])

الحسن بن رجاء

[٨٠] – الجليس الصالح والأنيس الناصح (ص: ١٥٦،) محاضرات الأدباء (١/ ٢١،)

الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك، الأديب، أبو علي الجرجرائي الكاتب البليغ والشاعر المفلق.

أخذ عن أبي محلم، وبكر بن النطاح.

روى عنه المبرد كثيرا.

قلده المأمون كور الجبل، وضم إليه الأمير أبا دلف.

قال الحسن بن رجاء: قال المأمون: الناس على أربعة أقسام: زراعة، وصناعة، وتجارة، وإمارة، فمن خرج عن هذه الأشياء فهو كل علينا. ([٨١])

الناشئ في دولتك، المتقلب في نعمتك

نظر المأمون إلى الحسن بن رجاء وهو صبي في ديوانه فقال: من أنت؟ قال: الناشئ في دولتك، المتقلب في نعمتك وتخريج أدبك الحسن بن رجاء. فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، وأمر برفعه عن محله.)([٨٢])

إن دخولي لم ينقصك، ولكن شرفني،

ولما أصاب أهل البوادي القحط أيام هشام بن عبد الملك وفدت عليه رؤساء القبائل وفيهم صبي صغير في رأسه ذؤابة، وعليه بردة يمنية فأنكر هشام حضوره وقال للحاجب: ما يشاء أحد أن يصل إلينا إلاّ وصل حتى الصبيان، فقال الصبي: يا أمير المؤمنين إن دخولي لم ينقصك، ولكن شرفني، وإن هؤلاء قدموا لأمر فهابوك دونه، وإن الكلام نشر والسكوت طي لا يعرف إلاّ بنشره، فأعجب هشاماً كلامه " فقال له: " انشر لا أم لك فقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث، فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أنقت العظم، وفي يدكم نصول أموال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، فقال هشام: ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث

---

[٨١] – تاريخ الإسلام ت بشار (٥/ ١١١٥)

[٨٢] – الوافي بالوفيات (١٢/ ٨) مختصر تاريخ دمشق (٤/ ٤٢٢) جمهرة خطب العرب (٣/ ١٣٣)

عذراً، وأمر بمائة ألف درهم " ففرقت في البادية وأمر للغلام بمائة ألف درهم " فقال: اردها في جائزة العرب، فما لي بها حاجة في خاصة نفسي دون سائر المسلمين، فكان في هذه أعجب.

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جاءته الوفود، فحين دخل عليه وفد أهل الحجاز أراد غلام منهم أن يتكلم فقال له عمر: يا غلام، يتكلم من هو أسن منك، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد أجاد " له " الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان هنا من هو أحق بمجلسك منك، فقال له: صدقت فتكلم، فهذا هو السحر الحلال، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن وفدُ التهنئة، لا وفد المرزئة، لم تقْدِمْنا إليك رغبةٌ ولا رهبةٌ، لأنا قد أمِنّا في أيامك ما خفناه، وأدركنا ما طلبناه، وفي رواية: أما الرغبة فقد أوصلها لنا فضلك، وأما الرهبة فقد أمّننا منها عدلك، فتهلل وجه عمر عند ثناء الغلام عليه، وسأل عن سن الغلام فقيل: عشر سنين ثم كأن عمر خاف العجب فأقبل على الغلام وقال: عظنا يرحمك الله: فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك، فأجهل الناس مضن ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس، وإن قوماً خدعهم الثناء، وغرهم الشكر، فزلت أقدامهم فهوُوا في النار، أعاذك الله يا أمير المؤمنين أن تكون منهم، وألحقك بصالح سلَف هذه الأمة، فجعل عمر يبكي حتى خيف عليه.)([٨٣])

شجاعة غلام:

بينما الحجاج بن يوسف الثقفي (وكان معروفاً بالظلم والقسوة والقتل) بينما كان جالساً في منظرة له وعنده وجوه أهل العراق أتى بصبي من الخوارج عليه له من العمر نحو بضع عشرة سنة فلما أدخل عليه لم يعبأ بالحجاج بن يوسف ولم يكترث به وإنما صار ينظر إلى بناء المنظرة وما فيها من العجائب ويلتفت يميناً وشمالاً ثم اندفع يقول: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)﴾ [الشعراء: ١٢٨- ١٢٩]

وكان الحجاج متكئاً فاستوى في مقعده وقال: يا غلام إني أرى لك عقلاً وذهناً أحفظت القرآن؟

[٨٣] – المحاضرات في اللغة و الأدب (ص: ١١٤)

فقال الغلام: أو خفت عليه من الضياع حتى أحفظه وقد حفظه الله تعالى!

قال الحجاج: أفجمعت القرآن؟

قال: أو كان مفرقاً حتى أجمعه!

قال الحجاج: أفأحكمت القرآن؟

قال الغلام: أليس الله أنزله محكماً!

قال الحجاج: استظهرت القرآن؟

فقال الغلام: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري!

فقال الحجاج وقد ثار غضباً: ويلك قاتلك الله ماذا أقول؟

قال الغلام: الويل لك ولقومك، قل أوعيت القرآن في صدرك.

فقال الحجاج: فاقرأ شيئاً من القرآن فاستفتح الغلام: { بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس (يخرجون) من دين الله أفواجاً }..

فقال الحجاج: ويحك إنهم يدخلون!

فرد عليه الغلام قائلاً: كانوا يدخلون أما اليوم صاروا يخرجون.

فقال الحجاج: ولماذا؟

قال الغلام: لسوء فعلك بهم.

قال الحجاج: ويلك يا غلام! هل تعرف من تخاطب؟

قال الغلام: نعم شيطان ثقيف الحجاج.

فقال الحجاج: ويلك! من رباك؟

قال الغلام: الذي زرعني.

قال الحجاج: فمن أمك؟

قال الغلام: التي ولدتني.

قال الحجاج: فأين ولدت؟

قال: في بعض الفلوات.

قال الحجاج: أمجنون أنت فأعالجك؟

قال: لو كنت مجنوناً لما وصلت إليك ووقفت بين يديك.

وقال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين؟

قال الغلام: رحم الله أبا الحسن - رضي الله عنه- وأسكنه جنان خلده.

قال الحجاج: ليس هذا ما أعني إنما أعني عبد الملك بن مروان.

قال الغلام: على الفاسق الفاجر لعنة الله.

قال الحجاج: ويحك! بم استحق اللعنة أمير المؤمنين؟

قال الغلام: أخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض.

قال الحجاج: ما هي؟

قال الغلام: استعماله إياك على رعيته تستبيح أموالهم وتستحل دماءهم ...

فالتفت الحجاج إلى جلسائه وقال: ما تشيرون في هذا الغلام؟

قالوا: اسفك دمه فقد خلع الطاعة وفارق الجماعة.

فقال الغلام: يا حجاج جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك حيث قالوا لفرعون عن موسى وأخيه: {أرجه وأخاه} وهؤلاء يأمرون بقتلي إذن والله تقوم عليك الحجة بين يدي الله ملك الجبارين ومذل المستكبرين.

فقال له الحجاج: هذب ألفاظك وقصر لسانك فإني أخاف عليك بادرة الأمر وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم.

فقال الغلام: لا حاجة لي بها بيض الله وجهك وأعلى كعبك؟

فالتفت الحجاج إلى جلسائه وقال: هل علمتم ما أراد بقوله بيض الله وجهك وأعلى كعبك؟

قالوا: الأمير أعلم.

فقال الحجاج: أراد بقوله بيض الله وجهك العمى والبرص وبقوله أعلى كعبك: التعليق والصلب ثم التفت إلى الغلام وقال له: ما تقول فيما قلت؟

قال الغلام: قاتلك الله ما أفهمك. فامتزج الحجاج غضباً وأمر بقتله وكان الرقاشي حاضراً فقال: أصلح الله الأمير هبه لي.

قال: هو لك لا بارك الله لك فيه.

فقال الغلام: والله لا أدري أيكما أحمق من صاحبه الواهب أجلاً قد حضر أم المستوهب أجلاً لم يحضر؟

فقال الرقاشي: استنقذتك من القتل وتكافئني بهذا الكلام.

فقال الغلام: هنيئاً لي الشهادة إن أدركتني السعادة والله إن القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أرجع إلى أهلي صفر اليدين.

فأمر له الحجاج بجائزة وقال يا غلام: قد أمرنا لك بمائة ألف درهم وعفونا عنك لحداثة سنك وصفاء ذهنك وحسن توكلك على الله وإياك والجرأة على أرباب الأمر فتقع مع من لا يعفو عنك.

فقال الغلام: العفو بيد الله لا بيدك والشكر له لا لك ولا جمع الله بيني وبينك ثم هم بالخروج فابتدره الغلمان.

فقال لهم الحجاج: دعوه فوالله ما رأيت أشجع منه قلباً ولا أفصح منه لساناً ولعمري ما وجدت مثله أبداً وعسى هو لا يجد مثلي فإن عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة عصره." قيل إنه أمر بعض رجاله بأن يدس له السم فقتله ".([٨٤])

" لقد نظر إلينا مخلوق نظرة فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا ؟"

أراد حاتم الأصم _ هذا الرجل التقي النقي _ أن يحج بيت الله الحرام فجمع أولاده وقال لهم: " قد عزمت أن أحج بيت الله" فقالوا له: "ومن يطعمنا و من يتولى شؤوننا و يرعانا؟"

فقالت له ابنة تقية من بناته: " يا أبت اذهب لحج بيت الله ،

واطمئن فإنك لست برزاق ".

و بعد أيام انقضى الطعام في البيت و دخلت الأم و أولادها لتعنيف هذه البنت التقية النقية ، و خلت البنت بنفسها و رفعت حاجتها إلى ربها الذي قال(وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ❖وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب))

و قالت البنت التقية: "إلهي و سيدي و مولاي عودت القوم فضلك ، فلا تحرمنا من فضلك ، و لا تحزنني بين أهلي"

و قدر الرزاق الذي و عد المتقين بالرزق، أن يكون أمير البلدة في التو و اللحظة يتفقد أحوال الرعية ، و أمام بيت حاتم شعر الأمير بظمأ كاد أن يقتله فقال لجندي معه من جنود الشرطة : "أدركني بكوب من الماء" ، فأسرع الجندي إلى أقرب باب إلى باب حاتم الأصم ، و طلب كوبا من الماء للأمير ، فلما علم أهل البيت أن الكوب للأمير أحضروا له كوبا نظيفا و ماء باردا _ و هذا من باب أنزلوا الناس منازلهم _

[٨٤] – التحفة اللطيفة من النكت الظريفة (مخطوط) ص ٣٠

فلما شرب الأمير الماء وضع الله له اللذة في هذا الكوب سأل: " بيت من هذا؟"

قالوا: " بيت حاتم الأصم"،

قال الأمير: " الرجل الصالح؟"

قالوا: "نعم".

قال الأمير: "الحمد لله الذي سقانا من بيوت الصالحين.

أين هو؟"

قالوا: "ذهب لحج بيت الله "

قال الأمير: " إذن وجب علينا أن نكافئ أهل بيته في غيابه"

و كانت العملة من الذهب، كان مالهم ذهبا ، فرمى بكيس مملوء ذهبا في بيت حاتم الأصم ، و لكن الرزاق الذي وعد المتقين أن يرزقهم بغير حساب أراد المزيد لهذه الأسرة التقية النقية ، فالتفت الأمير إلى الشرطة التي معه و قال لهم : "من أحبني فل يصنع صنيعي" ، فألقى كل جندي بما معه من المال مجاملة لأمره أو حبا له ، و امتلأ بيت حاتم بالذهب ، فدخلت البنت التقية النقية تبكي فدخلت عليها أمها و أخواتها و قالوا لها : " لم البكاء و قد أصبحنا من أغنى الناس ؟" فقالت البنت التقية النقية :

" لقد نظر إلينا مخلوق نظرة فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا ؟"([٨٥])

[٨٥] – مائة قصة وقصة: ص ٦٠

الباب السابع

الباب السابع : نوادر الصِّبيان

هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء يعني السلاطين

قال علي ابن المديني خرج سفيان بن عيينة إلى أصحاب الحديث وهو ضجرٌ فقال أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيدٍ وجالس ضمرة أبا سعيد الخدريّ وجالست عمرو بن دينارٍ وجالس جابر بن عبد الله وجالست عبدالله بن دينارٍ وجالس ابن عمر وجالست الزهري وجالس أنس بن مالكٍ حتى عدّ جماعة ثم أنا أجالسكم فقال له حدثٌ في المجلس انتصف يا أبا محمدٍ ، قال إن شاء الله

قال والله لشقاء من جالس أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بك أشدّ من شقائك بنا فأطرق وتمثّل بشعر أبي نواسٍ

خل جنبيك لرام

وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خيرٌ

لك من داء الكلام

فسأل من الحدث قالوا يحيى بن أكثم فقال سفيان هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء يعني السلاطين) ([٨٦])

صبي يحتال على أبي حنيفة

قال أبو عاصم النبيل رأيت أبا حنيفة في المسجد الحرام يفتي وقد اجتمع النّاس عليه وآذوه فقال ما ههنا أحدٌ يأتينا بشرطيّ فقلت يا أبا حنيفة تريد شرطياً قال نعم فقلت اقرأ عليّ هذه الأحاديث التي معي فقرأها فقمت عنه ووقفت بحذائه فقال لي أين الشرطيّ فقلت له إنّما قلت تريد لم أقل لك أجيء به فقال انظروا أنا أحتال للنّاس منذ كذا وكذا وقد احتال عليّ هذا الصبّي ([٨٧])

أدب المأمون

قال أبو محمد الترمذي كنت أؤدب المأمون وهو في حجر يعلمه الجوهري قال فأتيته يوماً وهو داخل فوجهت إليه بعض خدامه يعلمه بمكاني فأبطأ عليّ ثم وجهت آخر فأبطأ فقلت لسعيد إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر.

قال: أجل ومع هذا إنه إذا فارقك تعزم على خدمه ولقوا منه أذى شديداً فقومه بالأدب فلما خرج أمرت بحمله فضربته سبع درر.

قال: فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل جعفر بن يحيى قد أقبل فأخذ منديلاً فمسح عينيه من البكاء وجمع ثيابه وقام إلى فرشه فقعد عليه متربعاً ثم قال ليدخل فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه فألقى منه ما أكره بوجهه وحدثه حتى أضحكه وضحك إليه فلما هم بالحركة بدابته

---

[٨٦] – أخبار الظراف والمتماجنين ـ لابن الجوزي (ص: ١٥٥)

[٨٧] – أخبار الظراف والمتماجنين ـ لابن الجوزي (ص: ١٥٦)

ودعا غلمانه فسعوا بين يديه ثم سأل عني فجئت فقال خذ على بقية حزني فقلت أيها الأمير أطال الله بقاءك لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى ولو فعلت ذلك لتنكر لي فقال تراني يا أبا محمد كنت اطلع على هذا فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه أنني أحتاج إلى أدب إذن يغفر الله لك بعد الظنك ووجيب قلبك خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً لوعدت في كل يوم مائة مرة.)([1])

مرة.)([1])

يا أبت أدرك فاها غلبني فوهاً لا طاقة لي بفيها

قال الأصمعي بينا أنا في بعض البوادي إذا أنا بصبي أو قال صبية معه قربة قد غلبته فيها ماء وهو ينادي يا أبت أدرك فاها غلبني فوهاً لا طاقة لي بفيها قال فوالله لقد جمع العربية في ثلاث)([2])

❖❖❖❖❖

قال خفت أن يذهب فحفظته لك

قال الصولي قال الجاحظ قال ثمامة دخلت إلى صديق لي أعوده وتركت حماري على الباب ولم يكن معي غلام ثم خرجت وذا فوقه صبي فقلت أتركب حماري بغير إذني قال خفت أن يذهب فحفظته لك قلت لو ذهب كان أحب إليّ من بقائه قال فإن كان هذا رأيك في الحمار فاعمل على أنه قد ذهب وهبه لي واربح شكري فلم أر ما أقول ([3])

ذكاء صبية

قال رجل من أهل الشام قدمت المدينة فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة فإذا بنية له صغيرة تلعب بالطين فقلت لها ما فعل أبوك؟

قالت: وفد إلى بعض الأجواد فما لنا به علم منذ مدة فقلت انحري لنا ناقة فأنا ضيفك

---

[1] – الأذكياء (ص: ٩٦)

[2] – الأذكياء (ص: ٩٦)

[3] – الأذكياء (ص: ٩٦)

قالت: والله ما عندنا.

قلت: فشاة.

قالت: والله ما عندنا

قلت: فدجاجة.

قالت: والله ما عندنا.

قلت: فبيضة.

قالت: والله ما عندنا.

قلت: فباطل ما قال أبوك:

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جمل

قالت: فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء ([1])

لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافي

قال: بشر بن الحرث أتيت باب المعافى بن عمران فدققت الباب فقيل لي من؟

قلت بشر الحافي.

قالت لي بنية: من داخل الدار لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافي ([2])

ما تسجل به الفطنة وينبه من الغفلة

نظر المأمون إلى ابن صغير له في يده دفتر فقال ما هذا بيدك؟

---

[1] – الأذكياء (ص: ٩٦)

[2] – الأذكياء (ص: ٩٧)

فقال: بعض ما تسجل به الفطنة، وينبه من الغفلة، ويؤنس من الوحشة.

فقال المأمون الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر ما ينظر بعين جسمه وسنه. (١)

أخاف أن يجني على حمقي

قال الأصمعي: قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وإنك أحمق.

فقال: لا والله.

قلت: ولم؟

قال: أخاف أن يجني على حمقي جناية تذهب مالي ويبقى على حمقي. (٢)

سمى الله المستهزئ جاهلاً

عن عبد الجليل ابن الحسين، قال: كان مما عرف عن أحمد بن المعذل وهو صبي له ذؤابة في مجلس أبي عاصم، ومر لأبي عاصم حديثٌ فيه فقه، فقال أحمد: إنه مما ألقح إلينا عن مالك بن أنس في هذا الخبر، فسمع أبو عاصم، فقال: لا زرعك الله، فخجل أحمد، فلما كان المجلس الثاني مر لأبي عاصم حديث فيه فقه، فقال: أين أنت يا منقوص؟ أنس ألقح إليكم عن مالك، قال: فخجل أحمد ثم وثب، فقال: يا أبا عاصم! إن اله خلقك جداً فلا تهزلن، فإن الله عز وجل سمى المستهزئ في كتابه جاهلاً فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] " قال: فخجل أبو عاصم وكان لا يحدث حتى يحضر أحمد فيقعده إلى جنبه.(٣)

---

١ – الأذكياء (ص: ٩٧)

٢ – الأذكياء (ص: ٩٧)

٣ – الجليس الصالح والأنيس الناصح (ص: ٥٥)

كم سنك يا فتى؟

حكى المسعودي في شرح المقامات: أن المهدي لما دخل البصرة رأى أياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة وأياس يقدمهم، فقال المهدي لعامله: أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث؟

ثم إن المهدي التفت إليه وقال: كم سنك يا فتى؟

فقال: سني أطال الله بقاء الأمير، سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله (ﷺ) جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ، فقال له : تقدم بارك الله فيك .

يقال: إن أياس بن معاوية نظر إلى ثلاث نسوة، فزعن من شيء فقال هذه حامل وهذه مرضعة ، وهذه بكر فسئلن فكان الأمر كذلك .

فقيل له: من أين لك هذا ، فقال لما فزعن وضعت إحداهن يدها على بطنها والأخرى على ثديها والأخرى على فرجها .([1])

اللهم بارك له في صفقة يمينه

وروى أن النبي (ﷺ) مر بعبد الله بن جعفر وهو صبي يصنع شيئاً من طينٍ من لعب الصبيان ، فقال : ما تصنع بهذا ؟

قال : أبيعه . قال : ما تصنع بثمنه ؟

قال : أشتري به رطباً آكله ؛ فقال عليه السلام : اللهم بارك له في صفقة يمينه . فكان يقال : ما اشترى شيئاً قط إلا ربح فيه .([2])

حسنة بين سيئتين

---

[1] – الكشكول (١/ ٢٩٢).

[2] – نثر الدر (١/ ٢٩٥).

قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز وهو صبي: كيف نفقتك على عيالك؟ فقال: حسنة بين سيئتين، فقال لمن حوله: أخذه من قول الله تعالى " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً " الفرقان: ٦٧.([1])

ثابت بن عبد الله بن الزبير

ترجمته: ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بت عبد العزى بن قصي أبو مصعب، ويقال: أبو حكم الأسدي الزبيري.

وفد على عبد الملك بن مروان، ثم وفد على سليمان بن عبد الملك، فأدركه أجله في رجوعه.)([2])

❖❖❖❖

ومن أشبه أباه فما ظلم

دخل ثابت بن عبد الله بن الزبير على عبد الملك بن مروان، وهو صبي صغير، فقال له عبد الملك ألا تنبئني عنك لمَ كان أبوك يشتمك ويبعدك، إني لأحسبه كان يعلم منك ما تستحق منه أن يفعل ذلك بك؟

فقال: إذن أخبرك يا أمير المؤمنين: كنت أشير عليه فيستصغرني، ويرد نصيحتي، من ذلك أني نهيته أن يقاتل بأهل مكة، وقلت له: لا تقاتل بقومٍ أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخافوه، فلما جاؤوا إلى الإسلام أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعرض بجده الحكم بن أبي العاص حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم - ونهيته عن أهل المدينة، وذكرته أنهم خذلوا أمير المؤمنين عثمان، وتقاعدوا عنه حتى قتل بين ظهرانيهم - يعرض ببني أمية وأبيه مروان - فقال عبد الملك: اسكت لعنك الله، فأنت كما قال الأول:

شنشنةٌ أعرفها من أخزم

---

[1] – البصائر والذخائر (١/ ٤٩٦).

[2] – مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٢٣٩) تاريخ الإسلام ت بشار (٢/ ١٠٦٧).

قال ثابت: إني لكذلك في حلمي السلف، غير جبان ولا غدار - يعرض بغدره بعمرو بن سعيد بن العاص - وإني لكما قال كعب بن زهير: " من الطويل "

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته ولم أخزه لما تغيب في الرجم

أقول شبيهاتٍ بما قال عالمٌ بهن ومن أشبه أباه فما ظلم

فأشبهته من بين من وطئ الثرى ولم ينتزعني شبه خالٍ ولا ابن عم.([1])

عبد الملك بن مروان

عن مالك بن عمارة بن عقيل، قال: كنت أجالس عبد الملك بن مروان بثناء الكعبة وهو صبي، فقال لي يوماً: يا مالك، إن أنا عشت فسترى الأعناق إلي مائلة، والآمال نحوي سامية، فإذا كان ذلك كذلك فما عليك أن تجعلني لرجائك باباً، و لأملك سبباً؛ فوالله لأملأن يديك مني عطية، ولأكسونك مني نعمة.

ثم أتى على هذا دهر إلى أن أفضت الخلافة إليه، فسرت إليه من مكة، وهو مقيم بدمشق، فأقمت ببابه أسبوعاً لم يأذن لي، فلما كان يوم الجمعة بكرت إلى المسجد حتى جلست قريباً من المنبر، فلما كان وقت الصلاة إذا أنا بعبد الملك قد أقبل، فصلى ركعتين، ثم رقا المنبر؛ فأقبلت عليه بوجهي، فأعرض عني؛ ثم أقبلت عليه الثانية فأعرض عني، ثم أقبلت عليه ثالثة فأعرض عني؛ ثم خطب خطبة أوجز فيها، ثم نزل فصلى بالناس، ثم انصرف، وإني لكئيب حسران لما تجشمت من بعد الشقة؛ فبينا أنا كذلك إذ دخل علي رجل من باب المسجد، فقال: أين مالك بن عمارة؟ فقلت: ها أنا ذا. فقال: أجب أمير المؤمنين. فقمت مبادراً حتى دخلت على عبد الملك، فسلمت، فرد علي السلام، فقال: ادن مني. فدنوت، ثم قال: ادن مني حتى تجلس معي على السرير؛ ثم أقبل علي يسألني عن خبري وخبر مخلفي، وعن أهل مكة وما كان منهم، وقال لي: يا مالك، لعله قد ساءك ما رأيت مني؟ فقلت: والله لقد ساءني ذلك.

---

[1] – مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٢٤٠)

فقال: لا يسؤك، إن ذلك مقام لا يجوز فيه إلا ما رأيت، وها هنا قضاء حقك.

ثم أمر فأخلي لي منزل إلى جانب قصره، وأقيم فيه جميع ما أحتاج إليه، وكنت أحضر غداءه وعشاءه؛ فأقمت عنده ثلاثة أشهر، فتبين في الملل، فقال: يا مالك، أراك متململاً، لعلك قد إشتقتا إلى أهلك؟

فقلت: والله يا أمير المؤمنين لقد وعدت إليهم بسرعة الأوبة. فقال: يا غلام، على بعشر بدر، وعشرة أسفاط من دق مصر، وعشر جواري، وعشرة غلمان، وعشرة أفراس، وعشرة أبغل.

فلما حضر ذلك بين يديه قال لي: يا مالك، أرأيت هذا؟

قلت نعم. قال: هو لك، أتراني ملأت يديك عطية، وكسوتك مني نعمة؟

فقلت: يا امير المؤمنين، وإنك لذاكر لذاك؟

فقال: وما خير في من لا يذكر ما وعد به، وينسى ما أوعد به؛ والله لم يكن ذلك عن شيء سمعناه و لا خبر رويناه، ولكن تخلقت أخلاقاً في الصبا، كنت لا أساري ولا أباري، ولا هتكت ستراً حظره الله علي، وكنت أعرف للأدب حقه، وأكرم العالم، فبهذه الخصال رفع الله درجتي، و بالصالحين من أهلي ألحقني، فإن أقمت يا مالك فالرحب و السعة، وإن مضيت ففي حفظ الله و الدعة.)([1])

يزيد بن معاوية

ترجمته : هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي، ولد سنة خمس أو ست أو سبع وعشرين، وبويع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون ولي العهد من بعده، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين،

[1] – مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٠٦)

فاستمر متوليا إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين، وأمه ميسون بنت مخول بن أنيف بن دلجة بن نفاثة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبي.)([1])

اعتقني من النار أعتق الله رقبتك منها

جلست أمه ميسون يوما تمشطه وهو صبي صغير، وأبوه معاوية مع زوجته الحظية عنده في المنظرة، وهي فاختة بنت قرظة، فلما فرغت من مشطه نظرت أمه إليه فأعجبها فقبلته بين عينيه، فقال معاوية عند ذلك:

إذا مات لم تفلح مزينة بعده فنوطي عليه يا مزين التمائما

وانطلق يزيد يمشي وفاختة تتبعه بصرها ثم قالت: لعن الله سواد ساقي أمك، فقال

معاوية: أما والله إنه لخير من ابنك عبد الله - وهو ولده منها وكان أحمق -

فقالت فاختة: لا والله لكنك تؤثر هذا عليه، فقال: سوف أبين لك ذلك حتى تعرفينه قبل أن تقومي من مجلسك هذا، ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له: إنه قد بدا لي أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا، فقال: حاجتي أن تشتري لي كلبا فارها وحمارا فارها، فقال: يا بني أنت حمار وتشتري لك حمارا؟ قم فاخرج.

ثم قال لأمه: كيف رأيت؟

ثم استدعى بيزيد فقال: إني قد بدا لي أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا، فسلني ما بدا لك.

فخر يزيد ساجدا ثم قال حين رفع رأسه: الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة، وأراه في هذا الرأي، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك، وتوليني العام صائفة المسلمين، وتأذن لي في الحج إذا

---

[1] - سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٥، مروج الذهب ٢ / ٥٦٧، جمهرة الانساب ١٠٣، تاريخ ابن عساكر ١٨ / ١٩٥ آ، الكامل في التاريخ ٤ / ١٢٦، منهاج السنة ٢ / ٢٣٧، تاريخ الاسلام ٣ / ٩١، العبر ١ / ٦٩، البداية والنهاية ٨ / ٢٢٦، تهذيب التهذيب ١١ / ٣٦٠، لسان الميزان ٦ / ٢٩٣، القلائد الجوهرية ٢٦٢، تاريخ الخميس ٢ / ٣٠٠، شذرات الذهب ١ / ٧١، رغبة الآمل ٤ / ٨٣ و ٥ / ١٢٩.

رجعت، وتوليني الموسم، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل في عطائه، وتجعل ذلك بشفاعتي، وتعرض لأيتام بني جمح، وأيتام بني سهم، وأيتام بني عدي.

فقال: مالك ولأيتام بن عدي؟

فقال: لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى داري.

فقال معاوية: قد فعلت ذلك كله، وقبل وجهه، ثم قال لفاختة بنت قرظة: كيف رأيت؟

فقالت: يا أمير المؤمنين أوصه بي فأنت أعلم به مني، ففعل.

وفي رواية أن يزيد لما قال له أبوه: سلني حاجتك، قال له يزيد: أعتقني من النار أعتق الله رقبتك منها، قال: وكيف؟

قال: لأني وجدت في الآثار أنه من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرمه الله على النار، فاعهد إلي بالأمر من بعدك ففعل.) ([1])

يزيد بن المهلب

ترجمته: يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة، الأمير، أو خالد الازدي.

ولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطاة، وطلبه عمر وسجنه ([2])

ارتفاع همة يزيد بن المهلّب: وقيل ليزيد بن المهلّب: ألاّ تبني داراً ؟

فقال: منزلي دار الإمارة أو الحبس.) ([3])

---

[1] – البداية والنهاية–دار إحياء التراث العربي (٨/ ٢٤٩)

[2] –سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٣)تاريخ الطبري ٦ / ٥٢٣ وما بعدها، التنبيه والأشراف ٢٧٧، معجم ما استعجم ٩٥٠، تاريخ ابن الأثير ٥ / ٢٣ وما بعدها، وفيات الأعيان ٦ / ٢٧٨، تاريخ الإسلام ٤ / ٢١٥، العبر ١ / ١٢٥، شذرات الذهب ١ / ١٢٤، خزانة الأدب ١ / ١٠٥، رغبة الآمل ٤ / ١٨٩.

[3] – عيون الأخبار (ص: ١٠٠)

البلاء تأمير اللؤماء على الكرماء

إن المهلب لما توسم النجابة في ابنه يزيد وهو صغير أراد أن يختبره، فقال له: يا بني ما أشد البلاء؟

قال: يا أبت معاداة العقلاء.

ثم قال: اقلني.

قال: قد أقلتك فقل: فقال: أشد البلاء تأمير اللؤماء على الكرماء.

ثم قال: أقلني.

قال: قد أقلتك.

فقال: أشد البلاء معاداة العقلاء ومسألة البخلاء وتأمر اللؤماء على الكرماء.

فقال المهلب: والله يا بني ما يسرني بقولك مقول لقمان، ولا يعدل عندي بقاءك ملك سليمان. ([1])

الخليفة المأمون

تصلي لله قاعداً، وتضربني قائماً

وَذكر أَن الْكسَائي قَامَ إِلَيْهِ يَوْمًا - وَهُوَ يُعلمهُ وَهُوَ صغيرٌ - فَضَربهُ، وَقد كَانَ ذَلِك الْيَوْم صلى ذَلِك الْيَوْم قَاعِدا: أما تستحيي أَيهَا الشَّيْخ، تصلي لله قَاعِدا، وتضربني قَائِما. ([2])

كلنا حماميز الله

كان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة، فبينما هو يوماً يمشي مع أبيه إذا برجل يصيح بغلام يا عبد الله، فلم يجبه ذلك الغلام، فقال: ألا تسمع؟

فقال: يا عم كلنا عبيد الله، فأي عبد تعني؟

---

[1] – المحاضرات في اللغة والأدب (ص: ١١٠).

[2] – نثر الدر (٣/ ٧٤).

فالتفت أبو حمزة إليه وقال: يا حمزة ألا تنظر إلى بلاغته؟

فلما كان من الغد، إذا برجل ينادي: يا حمزة.

فقال: حمزة بن الأعرابي: كلنا حماميز الله، فأي حمزة تعني؟

فقال له أبوه: ليس يعنيك يا من أخمد الله به ذكر أبيه.

المسور بن مخرمة

ترجمته: المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، أبو عبد الرحمن: من فضلاء الصحابة وفقهائهم.

أدرك النبي ﷺ وهو صغير وسمع منه. وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف، ليالي الشورى، وحفظ عنه أشياء.

وروى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة.

وشهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد. وهو الذي حرض عثمان على غزوها.

ثم كان مع ابن الزبير، فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقتل ([1]).

يغفر الله لك يا أبت شرفي شرفك

قال الزبير بن بكار حدثني مصعب بن عثمان وغيره أن المسور بن مخرمة مر بأبيه وهو يخاصم رجلا فقال له يا أبا صفوان أنصف الناس فقال من هذا قال من ينصحك ولا يغشك قال مسور قال نعم فضرب بيده في ثوبه وقال اذهب بنا إلى مكة أريك بيت أمي وتريني بيت أمك فقال يغفر الله لك يا أبت شرفي شرفك وكانت أم المسور عاتكة بنت عوف أخت عبد الرحمن وبه قال لما حضرت مخرمة

[1] – الإصابة: ت ٧٩٩٥ ومعالم الإيمان ١: ١٠٧ وذيل المذيل ٢٠ والسالمي ٢: ١٨١ ونسب قريش ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٨ والتاج ٣: ٢٨٤ والإكليل ٢: الورقة ١٧٤ وفى أنباء نجباء الأبناء (٨٧)

الوفاة بكته بنته فقالت وا أبتاه كان هينا لينا فأفاق فقال من النادبة قالوا ابنتك قال تعالى ما هكذا يندب مثلي قولي وا أبتاه كان شهما شيظميا كان أبيا عصيا قال ([1])

المعتز بالله

ترجمته : عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي ، أبو العباس : الشاعر المبدع ، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد ، وأولع بالأدب ، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم.

وصنف كتبا ، منها " الزهر والرياض " و " البديع - ط " و " الآداب " و " الجامع في الغناء " و " الجوارح والصيد " و " فصول التماثيل - ط " و " حلى الأخبار " و " أشعار الملوك " و " طبقات الشعراء - ط " وجاءته النكبة من حيث يسعد الناس : آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي ، واستصغره القواد فخلعوه ، وأقبلوا على صاحب الترجمة ، فلقبوه " المرتضي بالله " وبايعوه بالخلافة ، فأقام يوما وليلة ، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه.

وعاد المقتدر ، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس ، فخنقه.

وللشعراء مراث كثيرة فيه.)([2])

إنك تراد للتأديب لا للتجاوز

قال ابن الظفر – حمه الله – إن أبا العباس عبد الله بن محمد بن المعتز بالله نطق بالحكمة فكان مما حفظ عن في صباه أن مؤدبه قال له لقد هممت بك لشيء كان منك ثم رأيت التجاوز عنك أولى

---

[1] – الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٢)

[2] – الأعلام للزركلي (٤/ ١١٩) الأغاني طبعة دار الكتب ١٠ : ٣٧٤ ومعاهد التنصيص ٢ : ٣٨ وابن خلكان ١ : ٢٥٨ وثمار القلوب ١٥٠ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٤٦ وفيه : قال مغلطاي : " مكث في الخلافة يوما وليلة وقتل ، وبعضهم لم يذكره مع الخلفاء وسماه الأمير ، لا أمير المؤمنين ، ومذهب بعضهم أنه أمير المؤمنين ولو لم يل الخلافة ، فانه كان أهلا لها ". وتاريخ بغداد ١٠ : ٩٥ وأشعار أولاد الخلفاء ١٠٧ – ٢٩٦).

فقال له عبد الله أصلحك الله: إنك تراد للتأديب لا للتجاوز وإنه يلزم الحازم أن ينبه على عفوه تنبيه المسيء على إساءته ليتجافى عن أشباه زلته ([1])

بأي شيء تبدأ اليوم؟

قال بعضهم: أحضِرْتُ لتعليم المعتزّ - وهو صغير - فقلت له: بأي شيء تبدأ اليوم؟

فقال: بالانصراف. ([2])

إنَّ عِظمَ حقِّك علي لا يُبطلُ صغيرَ حقي عليك

قال بعضهم: رأيتُ أعرابياً يعاتبُ ابناً له صغيراً، ويذكر حقه عليه.

فقال الصبي: يا أبهْ إنَّ عِظمَ حقِّك علي لا يُبطلُ صغيرَ حقي عليك، والذي تمتُّ به إلى أمتُّ بمثله إليك، ولست أقولُ: إنا سواءُ، ولكن لا يجْمُل الاعتداءُ. ([3])

إني قد أسأْتُ، وليسَ معي عقْلي

عرْبدَ غلام على قوم، فأراد عمُّه أن يعاقبَه، ويؤدِّبَه، فقال له: يا عمِّ: إني قد أسأْتُ، وليسَ معي عقْلي، فلا تُسيء بي ومعَك عقلُك.

هو بالبيتِ يكْذبُ على الله

نظر دَميمٌ يوماً في المرآة، وكان ذميماً، فقال: الحمدُ لله، خلقّني فأحسن خلقي وصورني فأحسن صورتي، وابن له صغيرٌ، يسمع كلامه. فلما خرج سألهُ رجلٌ - كان بالباب - عن أبيه.

فقال: هو بالبيتِ يكْذبُ على الله. ([4])

---

[1] – نجباء الأبناء (ص: ١١٧).

[2] – نثر الدر (٥/ ٢٢٦).

[3] – نثر الدر (٥/ ٢٢٦)

[4] – نثر الدر (٥/ ٢٢٦)

الفتح بن خاقان

ترجمته : الفتح بن خاقان الأمير الكبير الوزير الأكمل، أبو محمد التركي، شاعر مترسل بليغ مفوه ذو سؤدد وجود ومحاسن على لعب فيه.

وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه، استوزره، وفوض إليه إمرة الشام، (١)

داري أحسنُ أم دارُ أبيك

كان الفتحُ بن خاقان - وهو صبي - بين يديي المعتصم، فقال له، وعرضَ عليه خاتَمَهُ: هل رأيتَ - يا فتحُ - أحسنَ من هذا الفصِّ؟

قال: نعم: يا أميرَ المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه.

وعاد المعتصمُ أباه - والفتح صغيرٌ - فقال له: داري أحسنُ أم دارُ أبيك؟

قال: يا أميرَ المؤمنين، دارُ أبي ما دُمتَ فيه. (٢)

أو يْغطى من اللهِ شيءٌ

قال ابنُ أبي ليلى: رأيتُ بالمدينة صبياً قد خرجَ من دار، وبيدِه عُودٌ مكشوفٌ.

فقلتُ له: غطه لا دُعِرْتَ. قال: أو يْغطى من اللهِ شيءٌ. (٣)

أيسرني أني أبوك؟

قال الفرزدقُ لغلام أعجبهُ إنشادُه: أيسرني أني أبوك؟

---

١ - سير أعلام النبلاء (١٢/ ٨٢) تاريخ الطبري: الجزء التاسع، الفهرست: ١٣٠، تاريخ بغداد ١٢ / ٣٨٩، معجم الأدباء ١٦ / ١٧٤، ١٨٦، الكامل لابن الأثير ٧ / ٩٥، ١٠٠ و١٠٣، ١٠٥، الوافي بالوفيات ٣ / ١٧٧، ١٧٩، النجوم الزاهرة ٢ / ٣١٣ و٣٢٤، ٣٢٥، شذرات الذهب ٢ / ١١٤.

٢ - نثر الدر (٥/ ٢٢٦) الجليس الصالح والأنيس الناصح (ص: ٢٨،)

٣ - نثر الدر (٥/ ٢٢٦)

قال: لا، ولكنْ أمي، لُيصيبَ أبي من أطايبك. ([1])

جميلَ رأيك فإني أفوزُ به في الدُّنيا

قال البلاذُري: أدخِلَ الرّكاضُ وهو ابنُ أربع سنين إلى الرشيد ليعجبَ من فطنته، فقال له: ما تحبُّ أنْ أهَبَ لك؟

قال: جميلَ رأيك فإني أفوزُ به في الدُّنيا، والآخرة، فأمر له بدنانيرَ، ودراهمَ فصُبَّتْ بين يديه.

فقال: اختر الأحبَّ إليك. قال: الأحبَّ إلى أمير المؤمنين، وهذا مِنْ هذَين، وضربَ يدَه إلى الدَّنانير فضحك الرشيدُ، وأمر أن يضم إلى ولده، ويجري عليه. ([2])

عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما

ما لك لم تفر مع أصحابك؟!

وقيل أول ما علم من همة ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبي فمر به رجل فصاح عليهم ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال يا صبيان اجعلوني أميركم وشدوا بنا عليه ففعلوا

ومر به عمر بن الخطاب وهو يلعب ففر الصبيان ووقف هو فقال له عمر: مالك لم تفر معهم.

فقال: لم أجرم فأخافك ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك.

وقال قطن بن عبد الله كان ابن الزبير يواصل من الجمعة إلى الجمعة.

هشام بن عروة كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف فكان لا يضعه من يده فكان الزبير يقول والله ليكونن لك منه يوم وأيام ([3])

---

[1] – نثر الدر (٥/ ٢٢٦)

[2] – نثر الدر (٥/ ٢٢٦) ربيع الأبرار (١/ ٣٠٢)

[3] – الكامل في التاريخ (٤/ ١٢٨)

مِنْ أي شيء خُلقنا

قال إياسُ: كان لي أخٌ، فقال لي وهو غلام صغيرٌ: مِنْ أي شيء خُلقنا قلتُ: مِنْ طين. فتناول مَدَرةً، وقال: مِنْ هذا؟

قلتُ: نعم.

خلَق الله آدم من طين: قال: فيستطيع الذي خلقنا أن يُعيدنا إلى هذا الذي خلقنا منه؟

قلتُ: نعمْ.

قال: فينبغي لنا أن نخافَه. (١)

أتحبُّ أن يموتَ أبُوك؟

قيل لغلام: أتحبُّ أن يموتَ أبُوك؟

قال: لا، ولكنْ أحِبُّ أنْ يُقتلَ لأرثَ ديتَه فإنَّه فقير. (٢)

أنتم لا تصبرون

قَعَدَ صبي مع قوم، فقُدم شيء حارٌّ، فأخذ الصبي يبكي.

فقالوا: ما يُبْكيك؟

قال: هو حارٌّ.

قالوا: فاصبرُ حتى يبرَدَ. قال: أنتم لا تصبرون. (٣)

فَديتُك ابني هذا المطُر كلهُّ على رأسِك يجيء

---

١ – نثر الدر (٥/ ٢٢٧)

٢ – نثر الدر (٥/ ٢٢٧)

٣ – نثر الدر (٥/ ٢٢٧)

خرج صبي من بيتِ أمِّه في صَحو، وعاد في مطر شديد، فقالت له أمُّه: فَديتُك ابني هذا المطُر كلهُّ على رأسِك يجيء.

قال: لا يا أمي.

كان أكْثُره على الأرض، ولو كان كلُّه على رأسي لَغرقتُ (١).

لِمَ تبكينَ؟

وسمع آخر أمَّه تبكي في السَّحرَ، فقال: لِمَ تبكينَ؟

قالتْ: ذكرتُ أباك، فاحترق قلبي.

قال الصبيُّ: صدقْتِ. هذا وقتُه. (٢)

في عَرْض مصيبتي فيك (٣)

وجهّ رجل ابنه إلى السوق ليشتري حبلاً للبئر، ويكون عشرين ذراعاً، فانصرف مِنْ بعض الطريق. وقال: يا أبي. في عرْض كَمْ؟

قال: في عَرْض مصيبتي فيك.

مَنْ كنتَ ولدَه فهو بلا ولد (٤)

قال رجل لابنه، وهو في المكتب في أي سُورة أنت؟

---

١ – نثر الدر (٥/ ٢٢٧)

٢ – نثر الدر (٥/ ٢٢٧)

٣ – نثر الدر (٥/ ٢٢٧)

٤ – نثر الدر (٥/ ٢٢٧)

فقال: لا أقِسمُ بهذا البلد، ووالد بلا ولد.

فقَال: لعمرْي. مَنْ كنتَ ولدَه فهو بلا ولد.

أنت بعدُ في حر أمِّك

وقال آخر لابنه: أين بلغْتَ عند المعلِّم؟

فقال: الفرجَ، أراد الفجرَ.

فقال الأبُ: أنت بعدُ في حر أمِّك. (١)

يا أبه ليس والله أُحْنِثُك

قال ابنُ أبي زيد الحامِض: قال لي أبي: يا بني، ليس واللهِ تُفْلحُ أبداً فقال له: يا أبه ليس والله أُحْنِثُك . (٢)

❖❖❖❖❖❖

ما يبكيك؟

روى ضمام ابن إسماعيل عن أبي قبيل: أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير، فأرسلت إليه أمه، وقالت: ما يبكيك؟

قال: ذكرت الموت، قال وكان يومئذ قد جمع القرآن، فبكت أمه حين بلغها ذلك. (٣)

أغرب أنت تكون مثل خالك

نشأ عمر بن عبد العزيز في المدينة، فلما شب وعقل وهو غلام صغير كان يأتي عبد الله بن عمر بن الخطاب لمكان أمه منه، ثم يرجع إلى أمه فيقول: يا أمه أنا أحب أن أكون مثل خالي ـ يريد عبد الله

---

١ – نثر الدر (٥/ ٢٢٧)

٢ – نثر الدر (٥/ ٢٢٧)

٣ – موسوعة مواقف السلف (٢/ ١)

بن عمر ـ فتؤفف به ثم تقول له : أغرب أنت تكون مثل خالك وتكرر عليه ذلك غير مرة. فلما كبر سار أبوه عبد العزيز بن مروان إلى مصر أمير عليها ، ثم كتب إلى زوجته أم عاصم أن تقدم عليه وتقدم بولدها ، فأتت عمها عبد الله بن عمر فأعلمته بكتاب زوجها عبد العزيز إليها فقال لها : يا أبنة أخي هو زوجك فالحقي به ، فلما أرادت الخروج قال لها : خلفي هذا الغلام عندنا ـ

يريد عمر ـ فإنه أشبهكم بنا أهل البيت فخلفته عنده ولم تخالفه ، فلما قدمت على عبد العزيز اعترض ولده فإذا هو لا يرى عمر ، قال لها : وأين عمر؟

فأخبرته خبر عبد الله وما سألها من تخليفه عنده لشبهه بهم ، فسرّ بذلك عبد العزيز

، وكتب إلى أخيه عبد الملك يخبره بذلك ، فكتب عبد الملك أن يجري عليه ألف دينار في كل شهر ، ثم قدم عمر على أبيه مسلماً ([1]) ،

وهكذا تربى عمر رحمه الله تعالى بين أخواله بالمدينة من أسرة عمر بن الخطاب ، ولا شك أنه تأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة ([2]) ،

عنبسة بن سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي

ترجمته : عنبسة بن سعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف أبو خالد ويقال : أبو أيّوب الأمويّ أخو عمرو بن سعيد الأشدق الذي غلب على دمشق في أيّام عبد الملك. وهو من أهل المدينة ، كان مع أخيه بدمشق حين غلب عليها. وفد على عمر بن عبد العزيز. ([3])

هذا آخر عهدك بالدنيا

عنبسة بن سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أميّة بن عبد شمس ، وكان آثر الناس عند الحجاج ، وطلع له ابن فسمّاه الحجاج باسمه ، وكان على جانب من البخل عظيم ، وله فيه أخبار

---

[1] – سيرة عمر لابن عبد الحكم صـ٢٤ ـ ٢٥.

[2] – الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١/ ٥٦).

[3] – مختصر تاريخ دمشق (٦/ ١٦١ ،) لسان الميزان ت أبي غدة (٦/ ٢٤١) تاريخ الإسلام ت بشار (٢/ ١١٥٢)

طريفة. دخل به على الحجاج وهو طفل فأعطاه دراهم، فسأله أن يشدّها بخيط، فكلما شدّها سأله المبالغة في الشدّ حتى عقد اثنتي عشرة عقدة، فعجب الناس من شأنه. ثم دخل عليه عنبسة فأخبره بما رأى من ابنه. فقال له عنبسة: إن رأيته أيها الأمير فاسأله ما صنع بالدراهم، فأرسل فيه الحجاج وقال: ما صنعت بالدراهم التي أعطيتك. قال: عمدت إلى أغمض بيت في الدار فحفرت فيه حفيرة ثم دفنتها فيها، وملأت البيت تبناً وقلت لها: هذا آخر عهدك بالدنيا. قال: فما أردت بملء البيت تبناً. قال: إن أرادها اللصوص لم يفرغوا بإخراج التبن حتى يدركهم الصباح فيفضحهم، فازداد الحجاج عجباً من ضبطه وسرّبه ووهب له مالاً.)([1])

يزيد بن عبد الملك

ترجمته: يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد في دمشق، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠١ هـ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك.

وكانت في أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم. وخرج عليه يزيد بن المهلب، بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. وكان أبيض جسيما مدور الوجه، مليحه، فيه مروءة كاملة، مع إفراط في الانصراف إلى اللذات. ومات في إربد (من بلاد الاردن) أو الجولان، بعد موت " قينة " له اسمها " حبابة " بأيام يسيرة، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، فدفن فيها. وكان لحبابة، هذه، أثر في أحكام التولية والعزل، على عهده. ونقل الديار بكري (في تاريخ الخميس) أنه: " مات عشقا " قال: " ولا يعلم خليفة مات عشقا غيره " وكان يلقب ب " القادر بصنع الله " ونقش خاتمه: " فني الشباب يا يزيد! " وربما قيل له " يزيد بن عاتكة " نسبة إلى أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. ونقل اليافعي أنه لما استخلف قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز،

[1] – سمط اللآلي (ص: ٧٩،)

فأتوه بأربعين شيخا شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب! وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهرا ([1]).

لم لحنت؟

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك له: لم لحنت؟

فقال: الجواد يعثر.

فقال المؤدب: إي والله ويضرب حتى يستقيم.

فقال يزيد: وربما يرمح سائسه فيكسر أنفه.)([2])

خال القسري

ترجمته: خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم.

ماني الأصل، من أهل دمشق. ولي مكة سنة ٨٩هـ للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ فأقام بالكوفة. وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد. وكان خالد يرمى بالزندقة، وللفرزدق هجاء فيه ([3]).

أنا صاحب الجناية ولم أعلم

---

[1] – الأعلام للزركلي (٨/ ١٨٥) والنجوم الزاهرة ١: ٢٥٥ واليعقوبي ٣: ٥٢ والطبري ٨: ١٧٨ والأغاني، طبعة الساسي: انظر فهرسته. وتاريخ الخميس ٢: ٣١٨ وبلغة الظرفاء ٢٥ ورغبة الآمل ١: ٦٠ و ٦: ١٨١ والوزراء والكتاب ٥٦ –٥٨ ومرآة الجنان ١: ٢٢٤ والمسعودي ٢: ١٣٧ وعنوان المعارف ١٧ وزبدة الحلب ١: ٤٧ ومعجم ما استعجم ٩٥٠، ١٠٩٧ وانظر طبقات ابن سعد ٨: ٣٤٨ في ترجمة فاطمة بنت الحسين.

[2] – محاضرات الأدباء (١/ ٢٠)

[3] – الأعلام للزركلي (٢/ ٢٩٧) الأغاني ١٩: ٥٣ –٦٤ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٦٧ –٨٠ والوفيات ١: ١٦٩ وتهذيب التهذيب. والبداية والنهاية. وابن خلدون ٣: ١٠٥ وما قبلها. وابن الأثير ٤: ٢٠٥ ثم ٥: ١٠١.

أول ما عرف من سؤدد خالد القسري أنه مر في بعض طرق دمشق راكباً وله عشر سنين، فوطىء فرسه صبياً فوقف عليه فرآه لا يتحرك، فانتهى إلى أول مجلس مر به فقال: إن حدث بهذا الغلام حدث فأنا صاحب الجناية ولم أعلم.)([1])

إنهم يذهبون به إلى بيتنا

سمع صبي فقير امرأة في جنازة تقول: يذهبون بك إلى بيت ليس له غطاء ولا عشاء ولا غداء ولا سراج. فقال الصبي: يا أبت إنهم يذهبون به إلى بيتنا.)([2])

تريد تعود نفسك من اليوم ألا تأكل خبزاً إلا بأدم

قال آخر: رأيت بالكوفة صبياً ومعه قرصة، وهو يكسر لقمةً لقمةً ، ويرمي بها إلى شقٍّ في بعض الحيطان يخرج منه دخانٌ، ويأكلها .

قال: فبقيت أتعجب منه، إذ وقف عليه أبوه يسأله عن خبره.

فقال الصبي: هؤلاء قد طبخوا سكباجة حامضةً كثيرة التوابل ؛ فأنا أتأدم برائحتها .

قال: فصفعه أبوه صفعةً صلبة كاد يقطع بها رأسه وقال: تريد تعود نفسك من اليوم ألا تأكل خبزاً إلا بأدم ([3])

ما الرمادية وما مذهبهم؟

قال: وبلغني عن شيخ أن ابنه سأله فقال: يا أبة، ما الرمادية وما مذهبهم؟

قال: قوم يبولون في الرماد، قوم سوء أشر ما يكون.

---

[1] – محاضرات الأدباء (١/ ٢٠)

[2] – محاضرات الأدباء (١/ ٢٣٣)

[3] – نثر الدر ـ (٣/ ١٩١)

فقال الصبي: قد عرفت القدرية من غير أن تقول لي. قال من هم يا سيدنا؟ قال: الذين يخرون في القدور، فضمّه إليه وقبّله وقال: أحسنت يا أبا العباس، أشهد أنك فرخ جماعي. (١)

المحروم من سئل فبخل

قال العتبي: رأيت أعرابياً في طريق مكة يسأل الناس ولا يعطونه شيئاً، وبين يديه صبي صغير له؛ فلما ألح وأخفق قال: ما أراني إلا محروماً،

فقال الصبي: يا أبة: المحروم من سئل فبخل، ليس من سأل فلم يعط؛ قال: فعجب الناس من كلامه، وأقبلوا يهبون له حتى كسوه.)(٢)

أي يوم صلينا الجمعة بالرصافة؟

قال حمزة بن نصير لغلام له كان أحمق منه: أي يوم صلينا الجمعة بالرصافة؟

قال: والله ما أذكر جيداً، ولكن أحسبه كان يوم الثلاثاء، قال: صدقت كذا كان. (٣)

يا صبي تتكلم في هذا المقام؟

دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم، فأحب الحسن أن يتكلم، فزجره وقال: يا صبي تتكلم في هذا المقام؟

فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت صبيا، فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان - عليه السلام- حين قال: أحطت بما لم تحط به، ثم قال: ألم تر أن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى. (٤)

---

١ – نثر الدر ـ (٧/ ١٩٣)

٢ – البصائر والذخائر (١/ ٢٧)

٣ – التذكرة الحمدونية (١/ ٣٧٠)

٤ – المنهاج النبوي في تربية الأطفال (ص: ٦١٦)

❖❖❖❖❖❖

الباب الثامن: في الأطفال الشعراء

طرفة بن العبد

قيل إنَّ أوّل من قاله طرفة بن العبد وذلك إنّه قال لأمه وهو غلام:

إني أريد صيد القنابل فابعثي أمتك مع البهم! القنابل

جمع قنبرة وهي القبرة، فقالت له أمه: يا بني إنَّ المضيع من وكل ماله وأضاع عياله.

ثم إنّها أرسلت أمتها مع البهم. وخرج طرفة وصاحب له معهما فخ، حتى أتيا مكانا كانا يعهدان به القنابر كثيرة. فنصب الفخ، وتنحيا غير بعيدين. فجعلت قبرة تحوم حول الفخ، ثم فقرته فأخطأها. فأقبل طرفة نحو فخه وهو يقول: قد يعثر الجواد، وتمحل البلاد، ويذهب التلاد، ويضعف الجلاد. ثم نصب فخه، فوقعت القنابر حول الفخ، وهي تحيد عنه وتلقط ما أصابت. فلما طال ذلك به، ضجر وانتزع فخه وهو يقول:

قاتلكن الله من قنابر مهتديات بالفلا نوافر

ولا سقيتن معين الماطر ولا رعيتن جنوب الحاجر!

وانصرف هو وصاحبه راجعين. ثم التفت فإذا القنابر قد سقطن بالموضع الذي نصب فيه فخه يلتقطن، فقال: يا لك من قبرة. . الأبيات المذكورة. فلما أتى منزله، ورأته أمه لم شيئاً، فقالت له: حدك اليوم حاد، وصدك صاد! فقال لها طرفة:

ما كنت محدوداً إذا غدوت وما رأيت مثل ما لقيت

من طائر ظل بنا يحوت ينصب في اللوح فما يفوت

يكاد من رهبتنا يموت!

فقالت أمه: إني لأرجو أنَّ تكون شاعرا، وأنَّ تشبه خالك![1]

أبو عبيدة طرفة أجودهم وأجده لا يلحق بالبحور يعني امرأ القيس وزهيرا والنابغة ولكنه يوضع مع أصحابه الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل

ومن شعر طرفة وهو صبي قوله

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبقي العاذلات بشربة كميت متى ما تغل بالماء تزبد

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمد[2]

[1] – زهر الأكم في الأمثال والحكم (ص: ٢٢٣،)

[2] – معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/ ٣٦٦)

بشار بن برد

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾

كان بشار بن برد يقول الشعر وهو صغير فإذا هجا قوما جاءوا إلى أبيه فشكوه فيضربه ضربا شديدا فكانت أمه تقول كم تضرب هذا الصبي الضرير أما ترحمه فيقول بلى والله إني لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلي فسمعه بشار فطمع فيه.

فقال له يا أبت إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر وإني إن ألمت عليه أغنيتك وسائر أهلي فإن شكوني إليك فقل لهم أليس الله يقول ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]

فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله بشار فانصرفوا وهم يقولون فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار) ([٣])

أبِيتُ فلا أهجو الصديقَ

أخذ زهير بيد ابنه كعب ثم قال له قد أذنت لك في الشعر يا بني

فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله - وهو صغير يومئذ - قال

(أبِيتُ فلا أهجو الصديقَ ومَنْ يبِعْ بعِرْضِ أبيه في المعاشر يُنْفقِ)([٤])

❖❖❖❖

لبيد بن ربيعة

نظر النابغة الذبياني إلى لبيد بن ربيعة وهو صبي مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر فسأل عنه فنسب له فقال يا غلام إن عينيك لعينا شاعر أفتقرض من الشعر شيئاً؟

قال نعم يا عم

---

[٣] – الأغاني (٣/ ٢٠٥)

[٤] – الأغاني (١٧/ ٩١)

قال فأنشدني شيئاً مما قلته

فأنشده قوله :

(ألم تَربَعْ على الدِّمن الخوالي ...)

فقال له يا غلام أنت أشعر بني عامر زدني يا بنيّ

فأنشده

(طَلَلٌ لخولة بالرُّسَيس قديمُ ...)

فضرب بيديه إلى جنبيه وقال اذهب فأنت أشعر من قيسٍ كلها أو قال هوازن كلها) ([٥])

رؤية في صغره

قال العجّاج : سقط خبالي عليَّ فاستغثت بولدي فلم يجبني أحد منهم، ثم جاءني رؤية وهو صبي صغير فقلت له :

إنَّ بنيَّ للئامٌ زهده ... مالي في صدورهم من مودده

لاّ كودِّ مسدٍ لقرمده

قال فقال رؤية :

إنّ بنيك لكرامٌ مجده ... ولو دعوت لأتوك حفده)([٦])

عبيد الله بن طاهر

حكى صاحب الريحان والريعان أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال عبد الله

---

[٥] – الأغاني (١٥/ ٣٦٦)

[٦] – الجليس الصالح والأنيس الناصح (ص: ٤٣٧)

ومستودعي سرا تضمنت ستره فأودعته في مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبيد الله وهو صبي:

وما السر من قلبي كثاو بحفرة لأني أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكنني أخفيه حتى كأنني من الدهر يوما ما أحطت به خبرا (٧)

سعيد بن عبد الرحمن

إنه قد رام مني خطة

وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام وهو صبي وضيء الوجه، فبعث به هشام إلى عبد الصمد مؤدب والده الوليد ليؤدبه، فراوده عن نفسه فخرج من عند المؤدب مغضباً، ودخل على هشام وهو يقول:

إنه والله لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصمد

فقال: وما ذاك؟ فقال:

إنه قد رام مني خطة لم يرمها قبله مني أحدا

قال: وما ذاك؟ فقال:

رام جهلاً بي وجهلا بأبي يولج العصفور في خيس الأسدا

فطرد عبد الصمد عن داره. (٨)

أبو العباس المعتز

---

٧ – صبح الأعشى (١/ ١٤٢)

٨ – محاضرات الأدباء (١/ ١٩،)

قال الزبير: لما وفدت على المتوكل قال لي: أدخل إلى أبي العباس يعني المعتز، فدخلت إليه وهو صبي فحدثته وأنشدته فسألني عن الحجاز وأهله، ثم نهضت لأنصرف فعثرت فسقطت، فقال لي المعتز: يا زبير:

كم عثرة لي باللسان عثرتها تفرق من بعد اجتماع من الشمل

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل (٩)

أبو نواس الحسن بن هانئ

أبو نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول الشاعر:

وأول شعره وهو صبي:

حامل الهوى تعب يستفزه الطرب

إن بكى يحق له ليس ما به لعب

تضحكين لاهية والمحب ينتحب

تعجبين من سقمي صحتي هي العجب

والله أعلم)([١٠]).

أكَلْنا الخبزَ ... مصبوغاً بزيتِ

كان لابن ولاد هذا حفيد صغير يتعلم في الكتاب فتغدَّى معه يوماً وقد خبر منه نبلاً وفطنةً، فسأله إجازة قوله:

أكَلْنا الخبزَ ... مصبوغاً بزيتِ

---

[٩] – نثر الدر (٣/ ٩٢)

[١٠] – تاريخ ابن الوردي (١/ ٢٠١)

فقال الصبيّ:

غذاءً نافعاً ... في وسط بيتِ

فقال ابن ولاد:

فلو شيءٌ يردُّ ... الميتَ حيّاً

فقال الصبي:

لكان الخبزُ يُحي ... يي كلَّ مَيْتِ (١١)

❖❖❖❖❖

المراجع

كتب التفسير

١- تفسير ابن كثير / لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.

٢- تفسير الرازي.

٣- تفسير المنار/ محمد عبده.

---

١١ – تحفة القادم (ص: ٨)

كتب السنة وشروحها

٤- سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥).

٥- سنن الترمذي / محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ).

٦- السنن الكبرى للنسائي/ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ).

٧- سنن النسائي / أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ).

٨- سنن ابن ماجه/ ا أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ).

٩- صحيح ابن حبان / أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت ٣٥٤ هـ).

١٠- صحيح ابن خزيمة/ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ولد ٢٢٣ - ت ٣١١ هـ).

١١- صحيح أبي داود / محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

١٢- صحيح الأخبار/ محمد بن عبد الله بن بليهد.

١٣- صحيح البخاري/ للإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ).

١٤- صحيح مسلم/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ.

١٥- كشف الخفاء/ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ).

١٦- مسند الإمام أحمد" أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ).

١٧- مسند الشاميين / سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني.

١٩- الزهد والرقائق / للخطيب البغدادي/ أبو القاسم يوسف بن محمد بن أحمد الهمذاني (المتوفى: ٤٦٨ هـ).

٢٠- السلسلة الصحيحة للألباني/ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

٢١- السلسلة الضعيفة للألباني/ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

٢٢- مسند الشهاب / القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي [ت ٤٥٤ هـ].

٢٣- مسند عبد بن حميد"/ عبد بن حميد (٠٠٠ - ٢٤٩ هـ = ٠٠٠ - ٨٦٣ م).

٢٥- معالم السنين للخطابي / أبو سليمان، حمد بن محمد الخَطّابي (ت ٣٨٨ هـ).

٢٦- المعجم الأوسط / سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ).

٢٧- المعجم الكبير / سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ).

٢٨- المنتقى من مسموعاته بمرو للضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ).

كتب التاريخ

٢٩- الإحاطة في أخبار غرناطة/ لسان الدين ابن الخطيب.

٣٠- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض .

٣١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / ابن عبد البر.

٣٢- أسد الغابة/ ابن الأثير.

٣٣- الإصابة في تمييز الصحابة/ حمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

٣٤- الأعلام للزركلي .

٣٥- أنباء نجباء الأبناء / أبي عبد الله محمد بن ظفر المكي.

٣٦- الانساب: للسمعاني.

٣٧- البداية والنهاية- لابن كثير .

٣٨- التاج المكلل /للقنوجي.

٣٩- تاريخ ابن الفرات/ محمد بن عبد الرحيم المصري.

٤٠- تاريخ ابن الوردي/ زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي.

٤١- تاريخ الإسلام للإمام الذهبي .

٤٢- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس / لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري.

٤٣- تاريخ الرسل والملوك / لابن جرير الطبري.

٤٤- تاريخ الفسوي / يعقوب بن سفيان الحافظ.

٤٥- التاريخ الكبير للبخاري.

٤٦- تاريخ اليعقوبي / لأحمد بن أبي يعقوب.

٤٧- تاريخ بغداد / أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي.

٤٨- تاريخ جرجان / لأبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي.

٤٩- تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي.
٥٠- تهذيب ابن عساكر .
٥١- تهذيب الأسماء واللغات/ لأبي زكريا يحيى النووي.
٥٢- تهذيب التهذيب / للذهبي.
٥٣- الجرح والتعديل لابن أبى حاتم.
٥٤- الجواهر المضية في طبقات الحنفية للشيخ محيي الدين : عبد القادر بن أبي الوفاء.
٥٥- حلية الأولياء لابن أبي حاتم.
٥٦- حياة الصحابة/ للكاندهلوى.
٥٧- دائرة المعارف الإسلامية.
٥٨- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر.
٥٩- دول الإسلام للذهبي.
٦٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب / لابن فرحون برهان الدين إبراهيم.
٦١- ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين للطبري.
٦٢- الذيل لابن رجب.
٦٣- زبدة الحلب من تاريخ حلب / لابن العديم.
٦٤- الزهد لابن المبارك .
٦٥- سلسلة علو الهمة – محمد بن إسماعيل المقدم.
٦٦- سمط اللآلي في إمضاءات الموالي/ أحمد المنشي المنصوري.
٦٧- سير أعلام النبلاء / للإمام الذهبي.
٦٧- السيرة الحلبية / علي بن برهان الدين الحلبي.
٦٩- السيرة النبوي لأبي فارس.
٧٠- السيرة النبوية الصحيحة للعمري.
٧١- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.
٧٢- شذرات الذهب / لابن العماد الحنبلي.
٧٣ طبقات ابن سعد.
٧٤- صفة الصفوة /لابن الجوزي.
٧٥- طبقات الأولياء: لابن الملقن - عمر بن علي بن أحمد.
٧٦- طبقات الحفاظ: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن.

٧٨- طبقات الحنابلة /أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي.
٧٩- الطبقات السنية في تراجم الحنفية - الطبقات السنية في تراجم الحنفية.
٨١- طبقات الشافعية ـ لابن قاضى شهبة.
٨١- طبقات الشافعية للسبكي.
٨٢- طبقات الشيرازي/ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ).
٨٣- طبقات الصوفية/ أبو عبد الرحمن السلمي.
٨٤- طبقات القراء للذهبي.
٨٥- طبقات النسابين / لمحمد بن أسعد الحسيني.
٨٦- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لأبي محمد محمود العيني.
٨٧- عيون الأخبار/ للدينوري وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
٨٨- غاية النهاية في طبقات القراء / للجزري.
٨٩- فضائل الصحابة - أحمد بن حنبل.
٩٠- فقه السيرة /محمد سعيد البوطي.
٩١- الكامل في التاريخ/ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني.
٩٢- لسان الميزان/ لابن حجر العسقلاني.
٩٣- مختصر تاريخ دمشق / لابن عساكر.
٩٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي.
٩٥- معجم ما استعجم في أسماء البلدان والمواضع/. لأبي عبيد البكري الأندلسي.
٩٦- معرفة الصحابة لأبي نعيم.
٩٧- مغازي الواقدي / أبو عبد الله محمد بن عمر.
٩٨- منادمة الأطلال العلامة عبد القادر بدران.
٩٩- مناقب أبي حنيفة للإمام الموفق بن أحمد المكي.
١٠٠- المنتظم / لابن الجوزي.
١٠١- ميزان الاعتدال / للذهبي.
١٠٢- نثر الدر/ للأيلي.
١٠٣- النجوم الزاهرة/ لابن تغري بردي.
١٠٤- نسب قريش / لابن المديني على ابن عبد الله.

١٠٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب / لأحمد بن محمد المقري.
١٠٦- الوافي بالوفيات – / لصلاح الدين الصفدي.
١٠٧- الوزراء والكتاب/ للجهشياري - محمد بن عبدوس بن عبد الله.
١٠٨- وفيات الأعيان/ ابن خلكان.
١٠٩ - الوفيات/ لابن رافع.

كتب الأدب والأخلاق

١١٠/الدرر الغراء من وصايا الأنبياء والعلماء والبلغاء لأبنائهم / لابي همام السيد مراد سلامة.
١١١- الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة / حياة بن محمد بن جبريل
١١٢- آداب اللغة / أبي العلاء المعري.
١١٣- الأذكياء/ ابن الجوزي.
١١٤- أشعار أولاد الخلفاء: الصولي.
١١٥- أعلام النبوة/ للرازي.
١١٦- الأغاني أبي الفرج الأصفهاني تحفة القادم.
١١٧- البصائر والذخائر /لابي حيان التوحيدي.
١١٨- بلغة الظرفاء / لمحمد راسخ الاستانبولي.
١١٩- التحفة اللطيفة من النكت الظريفة (مخطوط).
١٢٠- تحفة الواعظ للخطب والمواعظ /لأبي همام السيد مراد سلامة.
١٢١- التذكرة الحمدونية / لابن حمدون.
١٢٢- ثمار القلوب/ للشيخ أبي منصور: عبد الملك بن محمد الثعالبي.
١٢٣- الجليس الصالح والأنيس الناصح/ المعافى بن زكريا.
١٢٤- جمهرة خطب العرب/ أحمد زكي صفوت.
١٢٥- دلائل النبوة للبيهقي.
١٢٦- ربيع الأبرار/ الزمخشري.
١٢٧- الرسالة القشيرية / لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري.
١٢٨- زهر الأكم في الأمثال والحكم / لأبي على نور الدين الحسن بن مسعود اليوسي.
١٢٩- السنن الكبرى للبيهقي.
١٣٠- شرح النووي على مسلم.
١٣١- صيد الخاطر / لابن الجوزي.

١٣٢- في ظلال القرآن –سيد قطب.
١٣٣- الكشكول / الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي.
١٣٤- الكفاية في علم الرواية / أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي.
١٣٥- الاكليل من عجائب وغرائب بني إسرائيل/لأبي همام السيد مراد سلامة.
١٣٦- محاضرات الأدباء لأبي القاسم: حسين بن محمد المعروف: بالراغب الأصبهاني.
١٣٧- المدخل إلى السنن الكبرى/ للبيهقي.
١٣٧- المستطرف / محمد بن أحمد الخطيب الأبشيهي.
١٣٩- المعارف / لأبي احمد محمد الأزدي.
١٤٠- معالم الإيمان في معرفة العلماء والصلحاء من أهل القيروان لابن ناجى القيرواني.
١٤١- معاهد التنصيص/ الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي.
١٤٢- معجم المطبوعات لمحمد عبد الحليم.
١٤٣- المنهاج النبوي في تربية الأطفال/ علي بن نايف الشحود.
١٤٤- موسوعة مواقف السلف / محمد عبد الرحمن المغراوي.
١٤٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء / أحمد بن علي القلقشندي.
١٤٦- هدى الساري مقدمة فتح البخاري لابن جحر.
١٤٧- مفتاح دار السعادة / لابن القيم.
١٤٨ - الفوائد/ لابن القيم.
١٤٩- موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة/ لعبد الحليم محمود.
١٥٠- الفقيه والمتفقه / للخطيب البغدادي.
١٥١- إحياء علوم الدين /لأبي حامد الغزالي.
١٥٢- زهر الأكم في الأمثال والحكم/ لأبي على نور الدين الحسن بن مسعود اليوسي.
١٥٣- الحث على طلب العلم/ أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري.
١٥٤- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء/ ابن عربشاه.
١٥٤- العلم والعلماء /لأبي بكر الجزائري.
١٥٥- في همنا المعاصر أفكار وخواطر/ عبد القادر عبار.

❖❖❖❖❖❖

الفهرس

العنصر	الصفحة
المقدمة	٣
الباب الأول: عناية الإسلام بالأطفال	٨

الباب الثاني : من طفولة الأنبياء	١٩
نبي الله إسماعيل - عليه السلام-	٢٠
صور من طفولة يوسف عليه السلام	٢٣
صور من حياة عيسى عليه السلام - في طفولته	٣٣
قال إني عبد الله	٣٣
أخبرك ما خبأت لك أمك	٤٠
الباء بهاء الله	٤١
نبي الله يحيى عليه السلام	٤٢
صور من طفولة محمد- صلى الله عليه وسلم -	٤٤
حادثة شق الصدر	٤٥
صيانة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو غلام	٤٧
صيانة الله لمحمد وهو يافع	٤٧
الباب الثالث : الأطفال الذين تكلموا في المهد	٤٩
١ - صاحب جُريج	٤٩
دروس وعبر	٤٩
٢ - ابن امرأة الأخدود	٥٢
الدروس وعبر	٥٣
٣ - الصبي الرضيع اللهم لا تجعلني مثله	٥٨
الدروس و عبر	٥٩
٤ - ابن ماشطة بنت فرعون	٥٩
٥ - شاهد يوسف عليه السلام	٦٠
٦ - ابن رجل اليمامة	٦١
الباب الرابع : صور مشرقة في طلب العلم	٦٢
فضل العلم وأهله	٦٢
أسامة بن زيد	٦٩
عمرو بن سلمة رضي الله عنه ،	٧٠
الطفل الإمام	٧٥

عبد الله بن عباس	٧٠
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما	٧٤
سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	٧٥
سفيان بن عيينة	٧٦
أبو جعفر الطبري	٧٩
محمد بن إدريس الشافعي	٨٠
الإمام أحمد بن حنبل	٨٤
شيخ الإسلام أحمد بن تيمية	٨٥
الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى	٨٧
أبو الحسين أحمد بن محمد النوري	٨٩
أبو يوسف القاضي	٩٠
الحافظ الأصفهاني	٩٢
الحافظ ابن حجر – رحمه الله -	٩٢
الشيخ أبي الوقت	٩٢
الكندي – رحمه الله-	٩٤
ابن تيمية الجد	٩٤
الدار قطني	٩٥
سعيد بن حميد بن سعيد	٩٦
أبو الطيب المتنبئ	٩٦
الخليفة المأمون	٩٧
الباب الرابع : صور مشرقة عبادة الأطفال	٩٩
ليلة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن عباس	١٠٠
محبتهم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم-	١٠٠
فأين الله؟!	١١٣
فسح لي في قبره وملئ نورا	١٠٢
أبو عبد الله بن الجلاء	١٠٢
أبو حنيفة والصبي : ألا تخاف القصاص يوم القيامة؟	١٠٤

عمر بن عبد العزيز وولده : إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه	١٠٥
فتح الموصلي وغلام بالصحراء	١٠٦
سهل التستري	١٠٧
أبو الحسين أحمد بن محمد النوري	١٠٨
أبو يزيد طيفور بن عيسى	١٠٩
معروف الكرخي	١١١
السري السقطي	١١٢
أبو السَّرِي السُّلَمِي	١١٣
يا الله شهوت أمي	١١٤
أبو حنيفة والطفل : إياك أنت من السقوط	١١٤
أبو سليمان داود بن نصير الطائي	١١٤
حماد بن سلمة وطفلة : يا رفيق ارفق بي	١١٦
ليحيى بن معاذ وطفلة : يا أبه أو ما أستحي من الله	١١٦
أبو العباس بن مسروق والصبي : لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله	١١٦
يا أبه لا تطعمنا إلا الحلال	١١٧
لماذا يا أبي لا تصلي الفجر،	١١٨
الباب الخامس : صور مشرقة في الجهاد وطلب الشهادة	١١٩
فضل الجهاد	١٢٠
أسامة بن زيد	١٢٢
امرأة من الأنصار تقدم صبيها ليجاهد في سبيل الله .	١٢٢
أخبرت أنه يسب رسول الله – ﷺ–	١٢٣
الأطفال الأبطال يسارعون للانضمام إلى صفوف المقاتلة في سبيل الله	١٢٣
❖ غزوة أحد واستعراض النبي- صلى الله عليه وسلم - جيشه.	١٢٤
حب طلحة بن البراء لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - :	١٢٤
الزبير بن العوام رضي الله عنه —	١٢٤
أتيت أضرب بسيفي من أخذك.	١٤٢

علي بن أبي طالب	١٢٥
حارثة بن سراقة رضي الله عنه :	١٢٦
ويحك أوَهبلتِ؟! أَوَجنة واحدة؟	١٢٦
يا أبا قدامه أقرضني ثلاثة أسهم	١٤٣
المظفر قطز	١٢٧
تأمّلنَ فعلي هل رأيتنّ مثله	١٢٨
السلطان محمد الفاتح (رحمه الله)	١٣٠
محمد بن القاسم الثقفي	١٣١
لماذا تبكي أيها الطفل؟	١٣١
الباب السادس من تكلم عند الخلفاء وهو صغير فارتفع بذلك شأنه :	١٣٣
محمد بن عبد الملك بن صالح	١٣٤
الحسن بن رجاء	١٣٤
صبي بين يدي هشام بن عبد الملك	١٣٥
شجاعة غلام	١٣٦
" لقد نظر إلينا مخلوق نظرة فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا؟"	١٣٩
الباب السابع : في نوادر الصِّبيان	١٤٢
هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء يعني السلاطين	١٤٣
صبي يحتال على أبي حنيفة	١٤٣
أدب المأمون	١٤٤
يا أبت أدرك فاها غلبني فوهاً لا طاقة لي بفيها	١٤٤
قال خفت أن يذهب فحفظته لك	١٤٥
ذكاء صبية	١٤٥
لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافي	١٤٦
ما تسجل به الفطنة وينبه من الغفلة	١٤٦

أخاف أن يجني على حمقي	١٤٦
سمى الله المستهزئ جاهلاً	١٤٧
كم سنك يا فتى؟	١٤٧
اللهم بارك له في صفقة يمينه	١٤٨
حسنة بين سيئتين	١٤٨
ثابت بن عبد الله بن الزبير	١٤٨
عبد الملك بن مروان	١٤٩
يزيد بن معاوية	١٥١
يزيد بن المهلب	١٥٢
الخليفة المأمون	١٥٤
كلنا حماميز الله	١٥٤
المسور بن مخرمة	١٥٤
المعتز بالله	١٥٥
بأي شيء تبدأ اليوم؟	١٥٦
إنَّ عِظمَ حقِّك علي لا يُبطلُ صغيرَ حقي عليك	١٥٦
إني قد أسأْتُ، وليسَ معي عقْلي	١٥٧
هو بالبيتِ يكْذبُ على الله	١٥٧
الفتح بن خاقان	١٥٧
أو يْغطى من اللهِ شيءٌ	١٥٨
أيسرني أني أبوك؟	١٥٨
جميلَ رأيك فإني أفوزُ به في الدُّنيا	١٥٨
عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما	١٥٨
ما لك لم تفر مع أصحابك؟!	١٥٨
مِنْ أي شيء خُلقنا	١٥٩
أتحبُّ أن يموتَ أبُوك؟	١٥٩
أنتم لا تصبرون	١٦٠
فَديتُك ابني هذا المطُر كلهُّ على رأسِك يجيء	١٦٠

لِمَ تبكينَ؟	١٦٠
في عَرْض مصيبتي فيك	١٦١
مَنْ كنتَ ولدَه فهو بلا ولد	١٦١
أنت بعدُ في حر أمِّك	١٦١
يا أبه ليس والله أُحْنِثُك	١٦١
ما يبكيك؟	١٦٢
أغرب أنت تكون مثل خالك	١٦٢
عنبسة بن سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي	١٦٣
يزيد بن عبد الملك	١٦٣
خال القسري	١٦٤
إنهم يذهبون به إلى بيتنا	١٦٥
تريد تعود نفسك من اليوم ألا تأكل خبزاً إلا بأدم	١٦٥
ما الرمادية وما مذهبهم؟	١٦٦
المحروم من سئل فبخل،	١٦٦
أي يوم صلينا الجمعة بالرصافة؟	١٦٦
يا صبي تتكلم في هذا المقام؟	١٦٦
الباب الثامن: في الأطفال الشعراء	**١٦٨**
طرفة بن العبد	١٦٩
بشار بن برد	١٧٠
أبيتُ فلا أهجو الصديقَ	١٧٠
لبيد بن ربيعة	١٧١
رؤية في صغره	١٧١
عبيد الله بن طاهر	١٧٢
سعيد بن عبد الرحمن	١٧٢
أبو العباس المعتز	١٧٣
أبو نواس الحسن بن هانىء	١٧٣

أكَلْنا الخبزَ ... مصبوغاً بزيتِ	١٧٤
المراجع	١٧٥
الفهرس	١٨٢